منهج شيخ الإسلام
في كتابه " منهاج السنة"

عبد الناصر وثورة إيران

قوة الحق
لا تغنى عن وحدة الموقف

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد التسعون – ذو الحجة ١٤٣١هـ



خوش صدور انقلاب..
نموذج لبنان

المحتويات





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(التسعون)

ذو الحجة - ١٤٣١ هـ

www.alrased.net
info@alrased.net

قوة الحق لا تغني عن وحدة الموقف

لا يـزال أهـل الإسـلام تـصيبهم النكبـات والضربات؛ رغم أنهم أهل الحق وأصحابه، والسبب الرئيس في ذلك هو: اضطراب صفهم، وتخلخل وحدتهم، وتنازع آرائهم، وهذا ما أضاع الكثير من الفرص لاستعادة فلسطين، وتحرير بيت المقدس، فرغم أن الحق فيها واضح كالشمس؛ إلّا أن غياب حق القوة وقوة وحدة الصف مكنت ساسة إسرائيل من التلاعب بنا عبر هذه السنين الطويلة.

وها نحن اليوم نعيش أحداثاً جديدة؛ نشاهد فيها ضياع الحق رغم ثبوته، بسبب صفنا المهلهل، وتشتت قلوبنا قبل أجسادنا، ورغم صراخنا ونداءاتنا الحارة إلا أن العالم أجمع يكتفي بأن يتفرج بعضه على ما يجري، ثم ينصت لملذاته ومصالحه.

ففي لبنان تقف الأكثرية عاجزة حائرة! ترى دماء ضحاياها تجف وتمحى، ولا تتمكن من أن تقتص من القتلة، أو حتى أن تشير إليهم!! بل أصبحت كثرتهم لا معنى لها مع وجود «ثلث ضامن أو معطل»، فترى حياة الناس يصيبها الشلل؛ إلا من كان من رعايا الأقلية؛ فهذا له «دولة خفية» تقوم بشؤونه!!

بل وصلت الوقاحة بهم أنهم يطالبون بقطع العلاقة مع هيئة التحقيق الدولية بمقتل الحريري، ويطالبون بوقف مفاوضات السلام ونبذها، وفي نفس الوقت يعرضون هم أنفسهم جولة جديدة من التفاوض مع هيئة الطاقة النووية الدولية!!

أحرام على بلابله الدوح
حلال للطير من كل جنس

أما في العراق؛ فرغم كل محاولاتهم البئيسة في تزوير الانتخابات؛ إلا أنهم عجزوا عن سرقة نصر الانتخابات، لكنهم مع هذا لم يستسلموا!!

ولنلاحظ هنا اختلاف طريقة تعامل العالم أجمع مع من منع القائمة الفائزة من الحصول على حقها في تشكيل الحكومة في العراق، وبين القائمة الفائزة حين حصلت حقها بيدها وهي حماس!! فهذه تدعى: «الحكومة المقالة»، ويرفض الجميع التعاون معها، بينهما تلك يستقبلها الجميع من العرب والعجم وبني الأصفر!!

ورغم أن «الحكومة المقالة» تعد من حلفاء أزلام الحكومة الغاصبة لحق القائمة الفائزة؛ إلا أن الفرق بالتعامل فرق ما بين السماء والأرض، هل لأن هؤلاء سنة وهؤلاء شيعة؟؟

ورغم أن القائمة الفائزة يرأسها شيعي علماني؛

إلا أن الغرب والعرب وإيران وتركيا لم يستطيعوا منحه حقه، ولا يزال المالكي يصر على مبدئه «الحكومة استلمها الشيعة، ولن يسلموها إلى غيرهم»، وعاشت الديمقراطية!!

أما في البحرين؛ فحين يعلن عن القبض عن تنظيم إرهابي شيعي يستهدف وحدة البحرين وقيادتها؛ يتكاتف أهل المعتدين صفّاً واحداً؛ فينفون التهمة عنهم، وتصدر الفتاوى بوجوب الانتخاب للقائمة الشيعية تحت المساءلة الشرعية، بينما أهل الضحية يتفرق صفهم، ويتشتت شملهم، مما لا يضيع حقهم فحسب بل يجلب لهم المسبة والعار من جميع الشرفاء والعقلاء!!

وحين تتاح فرصة لتصحيح المسار وتدارك ما فات من خطيئة وتقصير، يستمروا على نزاعهم وتفرقهم، وكأنهم غير خارج دائرة قوله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»!!

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم
يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وها هي الفضائيات السنية يُخنق صوتها إرضاءً لجهة هنا أو هناك، بدل أن تكون ورقة ضغط لرفض ما يطلب من هنا أو هناك، في الوقت الذي لا يتعرض للقنوات الشيعية والنصرانية التي تهاجم المقدسات الإسلامية! **وكأنه يوجد تواطؤ أو عمالة من قبل القائمين على إيقاف القنوات الإسلامية!!**

أضاعوني وأي فتي أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

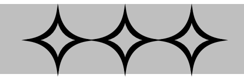
ولو نظرنا في هذه الأحداث كلها؛ لوجدنا أن السبب الرئيس فيها هو: غياب وحدة الصف وتضارب المواقف، فلو اجتمعت الكلمة وتوحد الصف لتغير الحال.

وحدة الصف التي ننشدها تشبه صف الصلاة حول الكعبة في الحرم؛ فرغم تباين المواقع للمصلين إلا أنهم جميعاً في صف واحد، ووجهة وقبلة واحدة!!

وهذا ما نريده: أن يكون لأهل الإسلام -وخاصة أهل السنة- وجهة واحدة، وقبلة واحدة؛ مهما تباينت مواقعهم، واختلفت أدوارهم.

وهذا يقتضي -أيضاً- البعد عن الجري خلف بعض المكاسب الصغيرة للبعض بما يعارض المصالح الكبيرة للجميع.

إن للحق قوة لكن قوته تضعف جدّاً بالفرقة بين أصحابه، وقوته تتضاعف بالوحدة بينهم، فماذا ترانا فاعلين؟؟



أسامة الهتيمي - خاص بـ «الراصد»



لعل أسوأ ما يميز سيد القمني عن غيره من بقية العلمانيين العرب، هو: قدرته الفائقة على تزييف الحقائق وتشويهها، وإعادة تقديم التشوهات الجديدة وكأنها حقائق ثابتة يجب أن يسلم بها الجميع! وإلا فإن من يرفض أو حتى يجرؤ على النقد سيكون في نظر القمني متخلفاً وإرهابيّاً، يرفض الاجتهاد وإعمال العقل.

ويدرك القمني قبل غيره باعتباره باحثاً في التاريخ كذب وزيف أطروحاته، غير أنه لا يمكنه الاعتراف بهذا؛ إذ يستمد الرجل وأمثاله قيمتهم العلمية والبحثية من ذلك الهراء، بالإضافة إلى أن ما يروجونه ويثيرونه يعد مصدراً سهلاً لتحقيق الثروة والشهرة؛ اللذين أصبحا على ما يبدو المكافأة المؤكدة لكل من يطعن في الإسلام وأصوله، أو يحاول إثارة بلبلة أو شبهة حول مبادئه وتعاليمه وتاريخه.

▫ النشأة والتعليم:

على بعد نحو ١٤٠ كيلو متراً تقريباً من العاصمة المصرية «القاهرة»؛ وبالتحديد في مركز الواسطى التابع لمحافظة بني سويف، شمال صعيد مصر؛ ولد سيد محمود القمني، في الثالث عشر من مارس عام ١٩٤٧م، لأسرة ريفية فقيرة؛ كأغلب أبناء مصر في هذا الوقت.

وقد حصل سيد القمني على تعليمه الابتدائي والثانوي من مدارس محافظة بني سويف، لينتقل بعد ذلك إلى القاهرة ويلتحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس.

وبعد التخرج قرر القمني أن يتخصص في دراسة علم اجتماع الأديان؛ وهو العلم الذي ادعى أنه حصل فيه على درجة الدكتوراة من إحدى الجامعات الأمريكية!

وقد عمل على دراسة التراث الإسلامي والأديان سيراً على مناهج علوم نقد الكتب المقدسة؛ التي ترى أن أي كتاب مقدس يمثل انعكاساً للثقافة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أحاطت بظهوره.

وقد كان معروفاً عن القمني انتماؤه للفكر القومي الناصري؛ الذي عاش صباه وشبابه في كنفه، وهو ما ظل وفيّاً له حتى عام ١٩٩٠م عندما غزا الرئيس العراقي الراحل صدام حسين دولة الكويت؛ فتخلى القمني - الذي عاش في الكويت سنوات عدة - عن قناعاته القومية الاشتراكية، لتحل محلها قناعة جديدة هي: الليبرالية، والعلمانية.

▫ أكذوبة الدكتوراة:

يبدو أن أفكار وأطروحات سيد القمني ليست هي فقط الشيء الوحيد المزيف في حياته؛ إذ أثبتت الوقائع أن صفته العلمية نفسها قد طالها التزوير والتزييف، وأن ما أوهم به نفسه ومن حوله بأنه رسالة علمية مكنته من حمل درجة الدكتوراة لا يعدو عن كونه بحثاً غير علمي، تقدم به لجامعة وهمية تمنح الدرجات العلمية لمن يدفع، إذ

أكدت المستندات أن الجامعة التي منحته هذه الدرجة هي جامعة كاليفورنيا الجنوبية التي أنشأها آل فاولر؛ الذين تم سجنهم في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧؛ لقيامهم ببيع الدرجات العلمية للراغبين، بما يعني أن القمني توقف تعليمه عند درجة الماجستير فحسب.

والحقيقة أن حصول سيد القمني على جائزة الدولة التقديرية كان السبب الرئيس في اكتشاف زيف الدكتوراة؛ حيث كان في إعلان هذا الفوز مفاجأة وصدمة للجميع؛ الذين يرون في كتابات القمني عداءً صريحاً للإسلام وقيمه، وتزييفاً واضحاً لتاريخه، ومحاولة فاشلة للإساءة إليه، وهو ما دفع ببعض الغيورين للتفتيش عن الرجل وسيرته؛ حتى تمكنوا من الكشف عن فضيحة الدكتوراة.

وبالتالي فقد كان حصول القمني على هذه الجائزة الضارة النافعة؛ والتي أعتقد أنها أصبحت نقمة على القمني، وأنه يتمنى أنه لو لم يحصل عليها وبقي في عيون من حوله من المخدوعين والغافلين الدكتور سيد القمني صاحب الفكر الحر؛ الذي يعاني من إرهاب الإسلاميين المتخلفين!

غير أننا يجب أن نعترف بأننا لم نكن على مستوى الوعي والإدراك الكاملين بما يمكننا من اكتشاف هذا الأمر قبل ذلك، إذ نجح القمني وبجدارة، طوال السنوات الماضية، في أن يخدعنا ويوهمنا بحصوله على هذه الدرجة؛ على الرغم من أن ما قدمه القمني من كتابات كان أكبر شاهد ودليل على أن الرجل أبعد ما يكون عن موضوعية البحث العلمي النزيه؛ إذ كان المنهج الرئيس الذي اعتمده القمني في كتاباته هو انتقاء وابتسار الأحداث التاريخية التي تدعم رؤاه المسبقة.

وأصبح أمر دكتوراة سيد القمني؛ وبعد جدل ثقافي وفكري استمر لعدة شهور، أمام القضاء المصري؛ بعد أن تقدم عدد من الشخصيات الإسلامية والقانونية بدعوى قضائية ضد وزير الثقافة تطالبه بسحب الجائزة من القمني؛ الذي -وبحسب تعبير الشيخ الداعية يوسف البدري- تورط في الإساءة للذات الإلهية وللإسلام.

◘ كتبه ومؤلفاته:

الحقيقة أن الناظر في إنتاج سيد القمني من الكتب والمؤلفات والدراسات ليصاب بالكثير من الدهشة والتعجب إزاء قدرة الرجل الكبيرة وإصراره على ترويج الأكاذيب والافتراءات! بل والاستخفاف بالنقد العلمي الرصين الذي قوبلت به مؤلفاته؛ حتى يوهم القارئ والباحثين بتهافت هذه الردود، وأن منهجه الصواب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! وقد وصل به الاستخفاف أن نشر في بعض كتبه في طبعاتها المتتالية الانتقادات التي وجهت لهذه الكتب في طبعاتها الأولى.

ومن مؤلفات سيد القمني:

- «»أهل الدين والديمقراطية»، وقد صدر عام ٢٠٠٥م.
- «الجماعات الإسلامية رؤية من الداخل»، صدر ٢٠٠٤م.
- «الإسلاميات»، صدر ٢٠٠١م.
- «الإسرائيليات»، صدر ٢٠٠٢م.
- «رب الزمان».
- «أوزيريس وعقيدة الخلود».
- «إسرائيل، الثورة، التاريخ، التضليل»، صدر ٢٠٠٠م.
- «قصة الخلق»، صدر ١٩٩٩م.
- «النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة»، صدر ١٩٩٩م.

- «حروب دولة الرسول» (جزءان)، صدر ١٩٩٦م.
- «النبي إبراهيم والتاريخ المجهول»، صدر ١٩٩٦م.
- «السؤال الآخر»، صدر ١٩٩٨م.
- «الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية».
- «شكراً ابن لادن» (ثلاثة أجزاء).
- «العرب قبل الإسلام».
- «الأسطورة والتراث».
- «مدخل الي فهم الميثولوجيا التوراتية».
- «النسخ في الوحي.. محاولة فهم».

◘ بلبلة القمني:

ليس من الصعب أن تتبين شخصية سيد القمني بمجرد الاتصال الهاتفي به، أو مشاهدة لقاء تلفزيوني له؛ فهو كثير الانفعالات، سريع إطلاق الشتائم والاتهامات؛ بما يشبه إلى حد كبير ذلك النموذج الذي تصوره الأعمال الدرامية الخاصة ببعض النساء من «الرداحات» وهن اللائي يتلفظن بألفاظ وشتائم بعيدة جداً عن الأدب والوقار، وهو السلوك الذي أبعد ما يكون عن سلوكيات الباحث العلمي المهذب.

ومن الأمثلة التي تدلل على هذا: ما جاء في حلقة برنامج «الاتجاه المعاكس»؛ التي أذيعت على قناة «الجزيرة» القطرية، وقدمها الإعلامي الدكتور فيصل القاسم؛ والتي كانت تدور عن التعليم الديني في العالم العربي، في حين كان الطرف المقابل للقمني في الحلقة هو الدكتور كمال السعيد حبيب -الكاتب الإسلامي المعروف-؛ الذي التزم في حواره مع الرجل بالأدب الجم، في حين كان القمني نموذجاً فجّاً بألفاظه، ولمزاته، وحركاته المثيرة للعجب!

كذلك وفي اتصال هاتفي بيني وبينه في أعقاب إعلان توبته، وأن مجلة «روز اليوسف» همشته ومنعته من الكتابة، ردّ قائلاً: إن «روز اليوسف» يسيطر عليها الآن «شلة عيال منحطين»!

ويبدو من سلوك القمني أنه مغرم تماماً بالشهرة وإثارة البلبلة، فمثلاً:

في عام ٢٠٠٥؛ وقد خفت صوت الرجل، وتراجع إعلاميّاً بشكل ملفت؛ حتى أن مجلة «روز اليوسف» الأسبوعية في مصر قررت وقف مقاله الأسبوعي، وهو ما دفع القمني إلى البحث عن وسيلة جديدة تلفت نظر وسائل الإعلام مرة أخرى له؛ فسارع الرجل وفي تصرف (فانتازي) إلى الإعلان فجأة عن توبته عن كل ما قدم، والتوقف عن الكتابة نهائيّاً.

وبرر القمني قراره بأنه جاء نتيجة تلقيه لرسائل تهديد من قبل مجموعات إسلامية توعدته بالانتقام والقتل؛ ما دفعه إلى التبرؤ من كل ما كتب، واعتزامه على عدم العودة للكتابة أو المشاركة في الندوات والمؤتمرات الفكرية؛ خوفاً على حياته.

وكما هو واضح؛ فإن القمني أراد بحركته المكشوفة هذه أن يضرب عصفورين بحجر، ففضلاً عن عودته مجدداً للأضواء، والظهور بمظهر ضحية حرية الفكر والتعبير؛ أراد -أيضاً- أن يستعدي النظام المصري على الإسلاميين، وأن تتاح له فرصة جديدة للهجوم عليهم وتشويه صورتهم.

يؤكد ذلك: أن القمني لم ينفذ ما أعلنه، بل سرعان ما عاد من جديد للكتابة والظهور إعلاميّاً من خلال اللقاءات التلفزيوينة، بل والإصرار على ترويج مزاعمه وافتراءاته؛ حتى تحقق مراده، وفاز بجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية؛ والتي من المفترض أن تمنح للباحثين الجادين الذين أسهموا في الارتقاء بالوعي والفكر، وتطوير مجال العلوم الاجتماعية.

■ **أساطير القمني:**

تعد كتب سيد القمني، -وبلا أدنى مبالغة- حشوا من الخرافات والأساطير التي لا تستند إلى وثائق علمية ثابتة؛ فهي -في أغلبها- مجرد انحياز لبعض التفسيرات والآراء الشاذة التي حرص الكاتب على إبرازها وتقديمها؛ لتحقيق عامل التميز والتفرد، والإيحاء بإتيانه بالجديد؛ ليتسنى له الانقلاب على الكثير من المعلومات المهمة وغير المهمة، فتتاح له ثغرة تمكنه من بث أفكاره العلمانية والتي لا تتفق مع الإسلام.

ففي كتابه «النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة» يزعم القمني أن النبي موسى هو نفسه الفرعون المصري أخناتون؛ الذي جاء بالتوحيد، وهو نفسه شخصية أوديب اليونانية، وأن الأصل الذي عاش فعلاً في التاريخ هو اخناتون المصري، وأن وجود موسى إنما هو بقدر ما أخذ من قصة أخناتون!

فيقول القمني: «إن موسى كان ولي عهد مصر بحسبانه أخناتون»، **ويقول:** «لقد كان قائد الخروج من مصر هو الفرعون أخناتون بذاته، وكان هو من عرفت اليونان قصته باسم: أوديب، وهو ذاته ما دونت التوراة في قصتها الكبرى اسمه: موسى، وهذا ما نحاول أن نقيم عليه الأدلة من الآن وحتى نهاية البحث».

بل إن القمني تطاول على نبي الله موسى عليه السلام ، ونفى عنه النبوة، وزعم أن أخناتون -الذي هو موسى عند القمني- كان يمارس مع أمه العهر، كما كان أبوه آمنحتب الثالث يمارس مع ابنته، وأنها عائلة إباحية حكمت مصر فترة من الزمان، وكانت عبادتها عبادة إباحية!

كذلك فإن القمني يقدح في القرآن الكريم؛ زاعماً أنه خضع للأيديولوجية الصهيونية؛ لأن القرآن عرض قصة موسى وفرعون، ما اعتبره القمني ايذاءً للمشاعر القومية المصرية؛ كما في كتابه «إسرائيل التاريخ - التوراة - التضليل»، في حين نسي القمني نفسه أن ما روجه من اعتبار أن موسى عليه السلام هو أخناتون قول مقتبس من فرويد اليهودي، فيما كان قوله بأن موسى هو أوديب، قول آخر اقتبسه من فلايكوفسكي في كتابه المشهور «عصور في فوضى: من الخروج إلى الملك أخناتون»، وهو -أيضاً- يهودي؛ بحسب ما أكد الباحث الإسلامي الأستاذ طارق منينه في كتابه «أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي - الجزء الثاني».

واستمر القمني في ترديد هذه الأساطير عن التوراة ونبي الله موسى في كتابه اللاحق «رب الزمان»، ما حدا بمجمع البحوث الإسلامية في مصر إلى أن يصدر قراره بمصادرة الكتاب وعدم طباعته.

■ **الحزب الهاشمي:**

على الرغم من سوءة ما قدمه القمني في كتبه التي تناولت أبا الأنبياء الخليل إبراهيم وكليم الله موسى عليهما السلام؛ إلا أن كتاب القمني «الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية» كان السبب الرئيس في أن يلتفت له الباحثون الإسلاميون؛ ليحذروا من كتابات القمني وأطروحاته؛ إذ أنها جاءت متناقضة تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما يهدف في النهاية إلى نزع القداسة عن النبوة والرسالة.

وقد حشا القمني هذا الكتاب بالكثير من الأكاذيب والافتراءات التي كان سنده الرئيس فيها روايات تاريخية شاذة أو مبتورة من سياقها، في حين تجاهل الروايات المتواترة، أو تلك التي بذل المؤرخون والمحققون جهداً كبيراً من أجل التثبت منها.

وكان أخطر ما جاء في دراسات القمني عن تأسيس الدولة الإسلامية، هو: تلك النظرية القائلة بأن

الدولة الإسلامية الأولى بزعامة النبي ﷺ جاءت تجسيداً لتاريخ طويل من محاولات أجداد النبي للسيطرة على قريش والعرب، وأن الإسلام عبارة عن حركة سياسية ناجحة؛ لا مجال فيها للوحي ولا للسماء.

وفي إطار محاولات القمني لإثبات نظريته الساقطة تطرق إلى هذا الصراع التاريخي بين بني هاشم -الذين كان ينتمي لهم رسول الله ﷺ-، وبني أمية، وهو ما دفع عبد المطلب -جد الرسول الكريم- إلى أن يفكر ويخطط لتحقيق حلم إنشاء دولة موحدة، تحت زعامة قبيلته هو.

ويشير القمني إلى أن جد النبي تأثر في ذلك بجيرانه من اليهود الذين كان لهم كتاب سماوي المظهر -على حد تعبيره- وهو «التوراة»، وتاريخ شهد قيام دولة قديمة أنشأها الملك النبي داود، وإزاء ذلك فقد هداه تفكيره هو ومن حوله إلى أنه «لا حل سوى أن يكون منشئ دولتهم نبيّاً مثل داود».

ويرى القمني أنه منذ ذلك الحين بدأ الهاشميون ينفذون مخططهم؛ الذي انتهى بأن أعلن حفيد عبد المطلب أنه النبي المنتظر.

واعتبر القمني في بحثه تحت عنوان: (بنو هاشم من التكتيك إلى الأيدلوجيا) أن زواج النبي محمد ﷺ -حفيد عبد المطلب- من السيدة خديجة بنت خويلد ﵂: التكتيك الهاشمي، وأنه من ثمار تحالف عبد المطلب بن هاشم مع أبيها خويلد الأسدي، بل إنه ذكر -أيضاً- أن إلغاء التماثيل والأصنام والدعوة إلى عبادة الإله الواحد هي -أيضاً- من باب التكتيك الهاشمي الذكي.

ومرة أخرى يحاول القمني أن يؤكد دعواه بالاستناد إلى بيت شعر قاله يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ الذي ينتمي لبني أمية -الطرف المقابل في الصراع مع بني هاشم-؛ إذ كان يقول: «لعبت بني هاشم بالملك؛ فلا خبر جاء، ولا وحي نزل»، وهي إشارة واضحة كل الوضوح إلى أن الأمر لا علاقة له بالدين، وأن المسألة لا تزيد عن كونها صراعاً بين البيتين.

◘ تهافت القمني:

في اعتقادي أن تفنيد وردَّ دعاوى القمني يعد أمراً يسيراً لأقصى الدرجات، إذ أن الزيف والتزوير فيها واضحاً للناظر فيها، فمنهج القمني في دراساته منهج متهافت ومفكك، أبعد ما يكون عن الالتزام بمعايير البحث والتدقيق؛ خاصة ما يتعلق منها بالتاريخ والأحداث.

وقبل أن نردَّ على بعض مزاعمه؛ فإنه يستوقفنا ذلك التناقض الشديد الذي وقع فيه القمني مرة أخرى؛ حيث عاب على القرآن أن انحاز للرؤية الصهيونية، في حين أنه فسر وجود رسالة الإسلام أصلاً كنتيجة لتأثر جد النبي بجيرانه من اليهود؛ الذين كانت لهم دولة بقيادة النبي داود.

أما فيما يخص ربط القمني تأسيس دولة الإسلام بحلم عبد المطلب القومي؛ فهو لا يحمل إلا معنى واحداً ليس له آخر، وهو: أن الدعوة المحمدية دعوة زائفة؛ ليس لها علاقة مطلقاً بالسماء، فمحمد بالأساس يحقق حلم جده لزعامة قبيلته، وليس من المنطقي أن يصادف ذلك إرادة إلهية في اختياره نبيّاً، وعليه ففي هذا تلميح صريح لإنكار نبوة النبي محمد ﷺ؛ وإلّا فليخبرنا القمني أي شيء يقصده بهذا الربط المتعسف؟!

وفي هذا السياق -أيضاً- فقد تجاهل القمني أن الرسول ﷺ كان ابن ثمانية أعوام عندما مات جده عبد المطلب، وعليه فهل من المنطقي أن يتحمل طفل في هذ

السن، أو على الأقل يعي ويدرك حجم هذه الأمانة الضخمة التي تحتاج إلى الكثيرين من أجل فهمها؟ ولماذا لم يختر عبد المطلب -مثلاً- أحد أبنائه، وكان من بينهم العقلاء؛ ليحمل عنه أمانة هذا الحلم، أو على الأقل يكون وصيّاً على التعهد بالنبي وتربيته؛ لإعداده جيّداً للقيام بهذه المهمة؟

إن الأمر كان على العكس تماماً من ذلك؛ فقد رفض أبو طالب -عم النبي ﷺ؛ والذي تكفل برعايته بعد وفاة عبد المطلب- أن يؤمن بالرسالة المحمدية، أو أن يدخل الإسلام ومات على شركه؛ على الرغم من كل ما بذله الرسول الكريم من أجل دعوته، وهو الدليل القوي على نفي ما حاول القمني أن يدعيه.

أما فيما يخص الصراع بين بني هاشم وبني أمية؛ فهو قول تكذبه وقائع التاريخ؛ بدءاً من القول المشهور للنبي ﷺ يوم فتح مكة: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»، ومروراً بالتضحيات التي بذلها المسلمون من بني أمية في الدفاع عن الإسلام وتحقيق الفتوحات، وليس انتهاء بما قام به معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جهد كبير في توسيع رقعة الدولة الإسلامية التي كان الرسول محمد ﷺ المنتمي لبني هاشم هو نبيها ومؤسسها الأول.

خلاصة القول أن القمني كغيره من العلمانيين الذين يسعون قدر استطاعتهم إلى التشكيك في صدقية الدعوة النبوية، أو على الأقل تحجيمها في إطار خاص، بما لا يعدو عن كونها طقوساً وشعائر خاصة جداً؛ ليس لها علاقة بالمجتمع والحياة.

وعليه فإن ذلك الادعاء هو محاولة متعسفة، تستهدف تلمس المبررات السياسية لقيام الدولة الإسلامية.

أما ما يثير الضحك فعلاً فهو: ادعاء القمني أن زواج النبي الكريم ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد جاء ثمرة تحالف بين أبيها وجد النبي عبد المطلب، وهو يتناقض مع العقل والمنطق! فزواج النبي ﷺ من خديجة تم وهو في سن الخامسة والعشرين، في حين كانت السيدة خديجة في سن الأربعين، أي أنها تكبره بنحو ١٥ عاماً، وهو ما يعني أن النبي ﷺ عند وفاة جده كانت خديجة في سن الثالثة والعشرين عاماً، بما لا يشير إطلاقاً إلى أن ثمة نية لزواج النبي ﷺ من خديجة.

بالإضافة إلى هذا؛ فإن السيدة خديجة كانت زوجاً لأحد الرجال قبل النبي الكريم ﷺ، وقد مات زوجها ولم يطلقها، فهل كان ثمة اتفاق على أن يموت زوج خديجة حتى يتزوجها محمد ﷺ؟!.. إنه والله لكلام غريب ومثير!!

وأخيراً؛ فقد اعتبر القمني أن دعوة الإسلام إلى التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، هي من التكتيك الهاشمي، وهو قول سخيف، يؤكد حاجة القمني إلى العلاج بأحد المصحات العقلية! إذ كان من الأسهل عليهم الاتفاق -مثلاً- على إله واحد من بين الآلهة المتعددة التي يعبدها العرب، وهو الأمر الذي كان أقرب لعقولهم، بدلاً من الدعوة إلى توحيد إله لم يروه مجسداً أمام أعينهم.

خلاصة القول أن القمني كغيره من العلمانيين الذين يسعون قدر استطاعتهم إلى التشكيك في صدقية الدعوة النبوية، أو على الأقل تحجيمها في إطار خاص، بما لا يعدو عن كونها طقوساً وشعائر خاصة جدّاً؛ ليس لها علاقة بالمجتمع والحياة.

«البساط أحمدي» عبارة مشهورة في مصر، تعني: الانفتاح، والقبول، وعدم التحرج، ولا يعرف كثير من الناس أصل هذه المقولة، ولا كيفية ظهورها!!

إن هذه العبارة ظهرت بين رواد الصوفية في العصر المملوكي؛ وخاصة بين أتباع الطريقة الأحمدية البدوية؛ والتي أسسها أحمد بن علي البدوي، المولود في مدينة فاس بالمغرب سنة ٥٩٦هـ - ١١٩٩م، وهي من أكبر الطرق الصوفية في مصر، ولها فروع كثيرة.

والبدوي معروف بالانحلال والفجور، ولذلك كان أتباعه على هذه الصفة ولا يزالون لليوم في موالدهم نموذجاً للفساد والفجور، فتجد الاختلاط بين الرجال والنساء، والزنا واللواط، وشرب الحشيش! ولخداع البسطاء الذين قد يستنكرون مثل هذه الفواحش؛ روج البدوي بين أتباعه أكاذيب عن كراماته، ومن ذلك قوله: «وعزة ربي ما عصى أحدٌ في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً؛ أفيعجزني الله ﷻ عن حماية من يحضر مولدي»؟!! وقال شاعرهم:

وأعجب شيء أن من كان عاصياً ... بمولده يعنى به ويرفق

ولا تزال هذه المخالفات قائمة لليوم في موالد الطريقة البدوية وغيرها، وهو أمر يعترف به الصوفية، وقد أصدر المجلس الصوفي الأعلى في مصر -قبل سنوات- تعليمات لتنظيم الموالد، وتجنب هذه السلبيات؛ لكن دون تطبيق حقيقي! ومؤخراً في ١٣/٣/٢٠١٠ أقيمت ندوة «الموالد والذكر»، بحضور ١٩ طريقة صوفية مصرية، حيث أقر المجتمعون بوجود تجاوزات وسلبيات في الموالد التي تقام في مصر، مثل: الاختلاط، واصطحاب الآلات الموسيقية داخل بعض المساجد!!

وفساد سلوك أتباع الطريقة البدوية مدوَّن في كتب كبار الصوفية، فهذا الشعراني يقول: «إياك أن تمكن جارتك أن يأخذ أحد من الفقراء الأحمدية أو البرهامية عليها العهد؛ إلّا مع المحافظة على آداب الشريعة! فإن كثيراً من الفقراء يعتقد أنه صار والدها يجوز له النظر إليها، وترى هي كذلك أنها صارت ابنته ولها أن تظهر وجهها له،.. وقد حدث مثل ذلك لبعض إخواننا، ورأى صاحبه يفعل الفاحشة في زوجته!»[1].

ولذلك حكى الشعراني عن شيوخ الأحمدية وغيرهم أنهم يجتمعون مع النساء على البساط من غير احتجاب، فيقولون للمرأة الكبيرة: يا أمي، أو يا أختى، ولمن دونها: يا بنتى!! ولذلك راج بين أهل مصر قولهم: «بساط أحمدي»، بمعنى: رفع الكلفة والاحتشام، وأخذ الأمور ببساطة بين الرجال والنساء في الطريقة الأحمدية البدوية!!!

وهذا «البساط الأحمدي» أصبح يراه كل الناس في القنوات الفضائية -ومن آخرها: برنامج (مهمة خاصة) على قناة «العربية»؛ الذي قدم «الليلة الكبيرة للطريقة البرهانية في السودان»-؛ والتي تبث الموالد والحضرات واللقاءات الصوفية التي تجمع الرجال والنساء، مختلطين دون حجاب واحتشام، يتراقصون ويتمايلون أمام الكاميرات، فما عساه يكون خلفها؟!! بل بعض هذه الحضرات -خاصة التي يعقدها الصوفية في أمريكا وأوروبا- يجتمع فيها الرجال والنساء باختلاط، وتبرج، وعدم حشمة مع اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم -أيضاً- من المتصوفة!

وفي الختام؛ نرجو الله أن لا يعيد علينا تاريخ «البساط الأحمدي» الذي قذر كتب التاريخ بخطاياه باسم الإسلام!

---

(١) الشعراني، «لواقح الأنوار»، (ص١٨٠، ٣٦٠).

نافذة سنة إيران إلى العالم (٥)
شماعة تهمة «الوهابية» للتفريق بين المسلمين

إبراهيم سعيدي نيشابوري- طهران

خاص بموقعي: «الراصد وسُنِّي نيوز»

كتب مدير ومالك جريدة «ابتكار» الإيرانية د. محمد علي وكيلي يقول: «إن نموذج الإسلام الثوري الإيراني في تضاد كامل مع الإسلام السعودي الوهابي»، وهذا الكلام صحيح؛ لأن نموذج الإسلام الإيراني الشيعي يختلف بالفعل جملةً وتفصيلاً عن الإسلام السني، وهذا الاختلاف في الجوهر وليس في الشكل، وهما مختلفان في الأصول والفروع، كما أنه خلاف قديم وليس جديداً.

نعم اختلاف هذه النماذج حقيقة لا شك فيها، فالرافضي الكذوب صدق هذه المرة!!

حيث أن إسلام أهل السنة هو الدين الخالص المبني على الكتاب والسنة، والموافق للعقل والفطرة السليمة التي جاء بها الرسول الكريم ﷺ، وتلقت الأمة هذا الإسلام بالقبول؛ بدءاً بالصحابة الكرام ﵃، ثم التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأما نموذج الإسلام الإيراني الشيعي؛ فهو النموذج الذي شذ عن أمة الإسلام في كل أصوله وفروعه، فمنذ فجر الإسلام الأول غدر أصحاب هذا النموذج الشاذ بالإسلام غدراً ناشئاً عن الحقد والكراهية، غدروا بالخليفة الراشد عمر الفاروق ﵁، ثم تتابعت الفتن المدبرة من قبلهم حتى استشهد على إثرها الخليفة الراشد عثمان ذي النورين ﵁، ثم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، ثم حفيد رسول الله ﷺ حسين بن علي ﵄.

فمنذ تلك الأيام بدأ مشروع اللعن والطعن في خيار الأمة؛ صحابة رسول الله ﷺ، المبشرين بالجنة، بل جُعل هذا اللعن عبادة! ومعلوم أن الطعن بالصحابة بوابة الطعن بالقرآن والرسول والإسلام، وصدق الإمام مالك / في حقيقة هؤلاء الذين يسبون الصحابة؛ حيث قال: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ؛ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحون»[(١)]، وقال أبوزرعة الرازي / : «فإذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[(٢)]، وقال الإمام أبو نعيم الأصفهاني / : «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول

(١) «رسالة في سب الصحابة، عن الصارم المسلول» (ص٥٨٠).
(٢) «الكفاية» للخطيب البغدادي (٩٧).

الله ﷺ وزللهم، ويحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه»[1]، وقال الإمام أحمد / : «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام»[2].

واليوم رأينا جميعاً ما تفوه به الخاسر الخبيث -وما تخفي صدورهم أكبر!- ، وأضعاف ذلك من الترهات تصدر يوميّاً من عشرات القنوات الفضائية والمنابر الإعلامية وغيرها، في مسيرة متواصلة عبر تاريخهم الأسود، وحتى يقبل السذج هذه الأكاذيب لا بد من تغليفها بمبررات وأسباب تدغدغ عواطف السذج والبسطاء من المسلمين.

فقديماً كانت مبرراتهم الأولى: اتهام الصحابة بغصب الخلافة! ثم غصبهم «فدك»! ثم جر علي بن أبي طالب بالحبل إلى المسجد! وإجباره على البيعة! وإسقاط جنين فاطمة! وضربها! وقتلها! وهلم جرّا.

فالظالم الأول والمتهم الرئيسي عندهم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق رضي الله عنه، ثم عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ثم أُمنا أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، ثم طلحة والزبير وخالد وسعد، وجميع الأبطال الأخيار الأبرار رضي الله عنهم، ومن ثم جميع أتباعهم ومحبيهم! أي: الأمة الإسلامية قاطبة! لاسيما الذين لهم دور في كسر شوكة الفرس الظالمين المستكبرين! فهؤلاء جميعاً يستحقون اللعن والحقد والعداوة في الدين الرافضي!

ومن ثم ولإحكام المؤامرة سموا هؤلاء الأخيار باسم «النواصب» و«الناصبة»، وهو الاسم الذي كانت تسمى به إحدى الفرق المبتدعة، وهم نواصب أهل الشام المنقرضين؛ والذين تصدى لهم وقضى عليهم علماء أهل السنة وأئمتهم، وعلى رأسهم الإمام المحدث أحمد بن شعيب النسائي، صاحب السنن -رحمهم الله جميعاً-.

وفي القرن الماضي، عندما بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المعروف بدعوته إلى عقيدة التوحيد ومطالبته بالإصلاح، وبدأ يدك حصون الشرك في الجزيرة العربية والعراق؛ تجدد حقد أصحاب مشروع التفرقة والبغض والكراهية، ولجأ هؤلاء الموتورون والحاقدون إلى اتهام أهل السنة بلقب جديد ألا وهو لقب «الوهابية»، وهو اللقب المنسوب إلى عبد الرحمن بن رستم الخارجي في القرن الثاني الهجري[3]، فاستعاروا اسم (الوهابية) من الحركة الخارجية البائدة تلك، ووسموا به كل من خالفهم من أهل السنة في مشروعهم الدموي!!

فعمموا هذه التهمة، واستعملوها لكل سني متيقظ محب للصحابة رضي الله عنهم ومخالف للشرك والبدع؛ حتى لو كان صوفي الفكر والمنهج، فما دام سنيّاً، ويحب الصحابة رضي الله عنهم، ويرفض مشروع النفاق والتفرقة؛ فهو وهابي!!

وأما اليوم؛ فلِقوة الصحوة الإسلامية في العالم، وتيقظ أبناء الأمة، ونبذ السب واللعن والشرك والبدع من قبل الأمة الإسلامية من جهة، وانكشاف حقيقة هذا النموذج الشيعي الإيراني من خلال قنواته الفضائية التي فضحت المستور، وأظهرت المخبأ والمنكور، وبسبب قنوات أهل السنة التي عرت حقيقتهم ونشرت بواطنهم؛ فقد أصبح دعاة الرفض والتشيع في تخبط واضطراب،

(١) «الإمامة» لأبي نعيم (٣٤٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤٢/٨)، وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن أحمد في العقيدة الأحمدية» للأحمدي (٣٦٣/٢-٣٦٤).

(٣) انظر: «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» للدكتور الشويعر.

ولم يجدوا لهم من وسيلة للخروج من مأزقهم، وطمأنة وتسكين وتنويم المجتمع الشيعي الرافضي إلا بإلقاء تهمة «الوهابية» ضد أهل السنة جزافاً يمنةً ويسرةً، كالذي يوجه بندقيته في الظلام تنفيساً وترويحاً عن أزمته النفسية!

إن موقف الشيعة المشبع بالروح الدموية تجاه أهل السنة ليس وليد اليوم، بل يرجع إلى نشأة هذا المذهب، أو الدين بالتعبير الأدق؛ والذي قام على مجموعة من العقد النفسية المتراكمة التي ولدت عندهم الإحساس بالمظلومية وحب الانتقام.

فالصناع الأولون والشرذمة الموتورون -لاسيما ابن سبأ- إنما قاموا بنسج مجموعة من أساطير خيالية، ولدت عقداً نفسية عند الشيعة مثل:

❁ **صياغة أسطورة** مظلومية آل البيت.

❁ **وأسطورة** غصب الخلافة.

❁ **وأسطورة** غصب فدك.

❁ **وأسطورة** الهجوم على بيت فاطمة وإحراقه وكسر ضلعها وإسقاط جنينها.

❁ **وأسطورة** إلقاء الحبل على رقبة علي بن أبي طالب! وجره إلى المسجد! وإجباره على البيعة!

❁ **وأسطورة** استمرار غصب الخلافة وحرمانه ﷺ من حقه ٢٥ عاماً إلى أن تولى الخلافة بالشورى.

فكل تلك الأساطير تحولت إلى عقد نفسية، تؤجج نار الانتقام، وغذتها الحادثة المريرة التي حدثت في كربلاء واستشهاد الحسين ﷺ، فرفعوا شعارت الانتقام بـ«يا لثارات الحسين!»[1].

نعم أيها القارئ العربي الكريم! إن ما أكتبه وأصوغه إنما هو تعبير عن بعض آلام إخوانكم أهل السنة في إيران، وهي قصص آلام حقيقية، نرى أن طرحها وإيصال رسائل بمضمونها إليكم واجب، نسأل الله -تعالى- فيه القبول والإخلاص.

والخلاصة: إن مصطلح «الوهابية» وبصرف النظر عن تاريخه وحقيقته ومضمونه يستعمل اليوم كوسيلة دعائية يقصد من ورائها:

❁ **ضرب عقائد السنة في العالم**، وتشويهها، وتحريفها لصرف الأنظار عنها.

❁ **التغطية على فضائح عقدية وأخلاقية**؛ يريدون نشرها والدعوة إليها.

❁ **تضليل المثقفين والواعين** من الشيعة الباحثين عن الحق المتأثرين بالقرآن الكريم والعقل.

❁ **إيجاد التفرقة والاختلاف** بين أهل السنة، وضرب بعضهم ببعض.

❁ **إبعاد الناس** عن التوحيد والسنة، ونشر ثقافة البدع والخرافة.

فإطلاق هذه التهم كالناصبة والوهابية والتكفير وغيرها ما هي إلا حيل للتعمية على الواقع المرير، والخواء الجاف الذي يعيشه المجتمع الشيعي!

فهؤلاء عرفوا قبل غيرهم أن أهل السنة براء من كل هذه التهم الموجهة إليهم، وأنهم يتبعون المنهج الوسط، وأنهم يفتخرون بحب آل البيت ﷺ.

كما يعرفون أنه لا يوجد شيء باسم (الوهابية)، فهي تهمة جاهزة للإلصاق بكل من يخالف الشيعة في ضلالهم وبدعهم ويدافعون عن الصحابة ﷺ.

---

(١) الكلام هنا هو موجه للشيعة الإثني عشرية، أما محبو آل بيت النبي ﷺ الحقيقيون كالزيدية وغيرهم من المعتدلين فهم غير مقصودين بكلامنا.

يوم السقيفة (٩):
«الأئمة من قريش»

د. حامد الخليفة

خاص بـ «الراصد»

لما كان حديث «الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»[١] **أو «إنّ هذا الأمر في قريش»**[٢] له أثر واضح في الاستدلال على أولوية قريش في خلافة النبي ﷺ؛ فمن المناسب النظر في نصوصه ومعانيه، والوقوف عنده وقفة تبين مقاصده وآراء أعلام الفقهاء والمحدثين حوله، وموقف الأنصار منه، وتزيل عنه الإبهام والتشويش الذي لحق به من بعض من قصر علمهم من المفكرين والكتاب المعاصرين؛ الذين أنكروا أن يكون هذا حديثاً نبويّاً، معتمدين في ذلك على كتب التاريخ، وعلى استنتاجاتهم المبنية على اجتهاداتهم الخاصة؛ التي تثبت وتنفي ما تراه! بعيداً عن قواعد الإثبات والنفي عند أهل الجرح والتعديل.

قَالَ ابْن التِّين: «إِنَّمَا قَال بعض الأَنْصَار رضي الله عنهم : «مِنَّا أَمِير، وَمِنْكُمْ أَمِير»؛ عَلَى مَا عَرَفُوهُ مِنْ عَادَة الْعَرَب أَنْ لا يَتَأَمَّر عَلَى الْقَبِيلَة إِلا مَنْ يَكُون مِنْهَا، فَلَمَّا سَمِعُوا حَدِيث: «**الأَئِمَّة مِنْ قُرَيْش**»؛ رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَأَذْعَنُوا».

قال ابن حجر: «وحَدِيث «**الأَئِمَّة مِنْ قُرَيْش**» ذكرنا مَنْ أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظ فِي (كِتَاب الأَحْكَام)، وَلَم يَقَع فِي هَذِهِ الْقِصَّة إِلا بِمَعْنَاهُ، وَقَدْ جَمَعْتُ طُرُقه عن نَحْو أَرْبَعِينَ صَحَابِيّاً، لَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ بَعْض فُضَلاء الْعصر ذَكَر أَنَّهُ لَم يُرو إلا عن أَبِي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ الدَّاوُدِيُّ عَلى أَنَّ إِقَامَة الْخَلِيفَة سُنَّة مُؤَكَّدَة، وتُعُقِّبَ بِالاتِّفَاقِ عَلى فَرضيَّتها، وبأنّهم تَركوا لأجل إِقَامَتهَا أَعْظَم المُهِمَّات؛ وهو التَّشاغُل بِدَفْنِ النَّبِيّ ﷺ؛ حَتَّى فَرغوا منها، والمدَّة المَذْكُورة زمن يسِير في بعض يوم يغْتَفَر مثْله لاجتماعِ الْكَلمة، وَاسْتَنَدَ من قَال: إِنَّه نَصّ؛ على خِلافَة أَبِي بَكْر بِأُصُولِ كُلِّيَّة، وقَرَائِن حاليَّة؛ تَقْتَضِي أَنَّه الأحقّ بِالإمامة والأولَى بِالخلافَة»[٣].

وأولوية قريش بالخلافة ثابتة بنصوص صريحة صحيحة، لكن اللافت للنظر أنّ هذا الحديث الصريح أصبح عرضة لحملات من التشكيك والتأويل والتحريف، فزعم البعض أنه شعار رفعته قريش لاستلاب الخلافة من أخوانهم الأنصار! وقال آخرون: إن هذا النص إنما هو «رأي لأبي بكر الصدّيق، وليس حديثاً رواه عن رسول الله»، وإنما كان «فكراً سياسيّاً قرشيّاً، كان شائعاً في ذلك العصر، يعكس ثقل قريش في المجتمع العربي في ذلك الحين»، وأن عبارات (الأئمة من قريش) و(الناس تبع لقريش) ما هي إلا من ذلك الفكر[٤].

وكل هذا يؤكد أهمية عرض نصوصه، وبيان الشروط التي قيدته، ثم ذكر من قال بإجماع الأمة على صحته والعمل به، والإشارة إلى بعض المشككين بصحته أو النافين له.

١ - نصوص هذا الحديث وردت في «الصحيحين»، وكتب الحديث الأخرى، بألفاظ متعددة، وأسانيد مختلفة:

(١) «مسند أحمد» (١٢٤٣٣)، قال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح بطرقه وشواهده».

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/٥٤٤).

(٣) ابن حجر، «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٢).

(٤) ينظر: عمارة، «الإسلام وفلسفة الحكم» (٣٩٣)، «الإنصاف» (١٠٨).

ففي «**البخاري**» عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله في النار على وجهه؛ ما أقاموا الدين**»[1]، وفي رواية: «**لا يزال الإسلام عزيزاً بخلفاء كلهم من قريش**»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً؛ وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقّاً مِثْلَ ذَلِكَ، مَا إِنْ اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا، وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا، وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[3].

وعن عليّ رضي الله عنه **قَالَ:** «الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ فَارَقَ الجْمَاعَةَ شِبْراً فَقَدْ نَزَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ»[4].

وقال ﷺ: «**النّاس تبع لقريش في هذا الشأن؛ مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم**»[5].

وعن جابر رضي الله عنه **قال:** قال ﷺ: «**النّاس تبع لقريش في الخير والشر**»[6].

وعن علي رضي الله عنه **قال:** قال ﷺ: «**الأئمة من قريش، أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها، ولكل حق؛ فآتوا كل ذي حق حقه، وإن أمّرت عليكم عبداً حبشيّاً مجدعاً؛ فاسمعوا له وأطيعوا، ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه، فإن خُير بين إسلامه**

(١) البخاري (٦٦٠٦)، مسلم (٦٦٢٧).

(٢) البخاري (٦٦٨٢).

(٣) «مسند أحمد» (١٢٤٣٣)، قال شعيب الأرنؤوط: «صحيح بطرقه وشواهده»، «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣٠٥٥).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٨٣١٠).

(٥) مسلم (٣٣٩٠).

(٦) مسلم (٣٣٩١).

وضرب عنقه؛ فليقدم عنقه، فإنّه لا دنيا له ولا آخرة بعد إسلامه»[7].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إنّ هذا الأمر في قريش**»[8].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لقريش: «**إنّ هذا الأمر فيكم، وأنتم ولاته**»[9]، وقال ﷺ: «**قدِّموا قريش، ولا تَقَدَّمُوها**»[10].

والأحاديث النبوية التي تبين أن أمر الخلافة في قريش مستفيضة، أورد ابن حجر أحاديث كثيرة منها تحت باب (الأمراء من قريش)، وقد رويت بألفاظ متعددة؛ إلا أنها متقاربة، تؤكد جميعها أن أمر الخلافة في قريش، وما سوى ذلك من الولايات يتساوى فيه جميع المسلمين.

٢- القيود التي حددت الإمارة في قريش:

فإنّها حذّرت من الانقياد الأعمى لهم، وأنّ هذا الأمر فيهم ما أقاموا الدين، ومن القيود الأخرى على صحة الإمامة في قريش: ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: «**ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا أوفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم؛ فعلية لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين**»، فالأحاديث تُحذر من اتباع قريش إن زاغوا عن الحكم بما أنزل الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤]، ودعت إلى اجتنابهم والبعد عنهم واعتزالهم؛

(٧) «المستدرك» (٦٩٦٢)، سكت عنه الذهبي في «التلخيص»، «المعجم الأوسط» (٣٥٢١).

(٨) «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/٤٤٥).

(٩) «مسند أحمد» (١٦٤٥٢).

(١٠) ابن أبي عاصم، «السنة» (٢/٦٧٣).

قـال ﷺ: «**إنّ هـلاك أمتـي -أو فـساد أمتـي- رؤوس أغيلمـة سـفهاء مـن قـريش**»[١]، وعنـدما سُـئل ﷺ: فـما تأمرنا؟ قال: «**لو أنّ النّاس اعتزلوهم**»[٢].

ومن هـذه النّصوص تتضح الصورة كاملة لمسألة (الأئمة من قريش)، وأن الأنصار انقادوا لقريش ضمن هذه الضوابط، وهذا ما أكدوه في بيعاتهم لرسول الله ﷺ «على السمع والطاعة، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعوا الأمر أهلـه؛ إلا أن يـروا كفـراً بواحـاً عنـدهم مـن الله فيـه برهان»[٣]، وتقدُّم قريش أمر انعقد عليه إجماع المسلمين.

٣- مـن قـال بالإجمـاع عـلى حـديث: «الأئمـة مـن قريش»:

قـال النـووي: «وعـلى هـذا انعقـد الإجمـاع في زمـن الصحابة، فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عـرّض بخـلاف مـن غـيرهم؛ فهـو محجـوج بإجمـاع الصحابة والتابعين، ومن بعدهم بالأحايث الصحيحة، قال القاضي عياض: اشتراط كونه قرشيّاً هو مذهب العلماء كافة، قال: واحتج به أبو بكر وعمر على الأنصار ﭫ يوم السقيفة؛ فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن السلف فيها قـول يخـالف مـا ذكرنـا، وكـذلك مـن بعـدهم في جميـع الأعصار»[٤].

وقـال ابـن حـزم تعليقـاً عـلى حـديث «الأئمـة مـن قريش»: «وهذه الرواية جاءت مجيء التواتر؛ رواها أنس وجابر، وجابر بن سمرة، وعبادة بن الصامت، ومعاوية وابـن عمـر ﭫ وتعـدد طرقهـا يعطيهـا قـوة الروايـة المتواترة».

وقال ابن حجر: «قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيّاً» -كما سبق-.

وقال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن الإمامة لا تصلح إلا لمن تجتمع فيه شرائط، منها: (أن يكون قرشيّاً)، وهذا عمل به المسلمون قرناً بعد قرن، وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك؛ قبل أن يقع الخلاف بين المسلمين»[٥].

وبعـد أن تبـين عمـل الأنـصار والمهـاجرين بهـذا الحديث، ومن بعدهم عامة الصحابة والتابعين؛ فإن الأئمـة الأربعـة قـالوا بـه -أيـضاً-؛ روي ذلك عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت[٦]، وقال الإمام مالك بن أنس: «ولا يكـون الإمـام إلا قرشـيّاً، وغـيره لا حكـم لـه إلا أن يدعو إلى الإمام القرشي»[٧]، وروي ذلك عن محمد بن إدريس الشافعي[٨]، وقال أحمد بن حنبل: والخليفة يجب أن: «يعـرف للعـرب حقهـا وفـضلها وسـابقتها، ويحـبهم لحديث النبي ﷺ: «**حبهم إيمان وبغضهم نفاق**»، ولا يقـول بقـول الـشعوبية وأراذل المـوالي؛ الـذين لا يحبـون العـرب، ولا يقـرون لهـم بفـضل؛ فـإن لهـم بـدعاً ونفاقـاً وخلافاً»[٩]، وقال: «الخلافة في قريش ما بقي من الناس

---

(١) «مسند أحمد» (٧٩٦١).
(٢) «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (٦٦٢٦).
(٣) المصدر السابق.
(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٢/ ٢٠٠)، ابن حجر، «فتح الباري» شرح الحديث (٧١٤٠).
(٥) «فتح الباري» شرح الحديث (٧١٤٠) الباقلاني، «الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به» (٦٩)، الدميجي، «الإمامة العظمى»، (٢٧٥).
(٦) ينظر: البغدادي، «أصول الدين» (٢٧٥).
(٧) ابن العربي، «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٢١).
(٨) الشافعي، «كتاب الأم» (١/ ١٤٣).
(٩) ابن أبي يعلى، «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠). ابن حنبل، «العقيدة- =

اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم إلى قيام الساعة».

وقال ابن حزم: «لا يستحق الخلافة إلا قرشي»[1].

وممن قال بذلك من أعلام المسلمين: الإيجي، والماوردي، وأبو حامد الغزالي، وابن خلدون[2].

ومن المعاصرين: محمد رشيد رضا، قال: «أما الإجماع على اشتراط القرشية؛ فقد ثبت بالنقل والعقل، رواه ثقات المحدثين، واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم، وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار وإذعانهم لقريش، ثم إذعان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون»[3].

فاشتراط النسب القرشي ثابت بالشرع عن طريقين: السنّة والإجماع[4].

وممن يرى الإمامة في قريش -من غير أهل السنة والجماعة-: الإثنا عشرية؛ إلا أنهم خالفوا المسلمين! فزعموا أنها لا تكون إلا في علي وأولاده ﭫ، وأنها تسلسلت من أمير المؤمنين علي إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم إلى أبنائهم، ثم إلى محمد بن الحسن العسكري المنتظر[5].

وواضح أنّ هذا في بنيات خيالهم فقط! إذ أن هؤلاء الإثنى عشر لم يستلم الخلافة منهم إلا علي والحسن ﭬ، ولم تجتمع عليهم الأمة، وأسماء أئمة المسلمين وخلفائهم معلومة لدى الصغير والكبير، ولدى المسلمين والكافرين، وليس للمسلمين أئمة سوى الراشدين؛ وعلى الترتيب الذي جعلهم به المهاجرون والأنصار، ثم من تبعهم بإحسان من الخلفاء اللاحقين؛ ممن اجتمعت عليهم الأمة.

فالنبي ﷺ قال: «كلهم من قريش»، وقال ﷺ: «كلّهم تجتمع عليهم الأمّة»[6]**؛ ولو كانوا مختصين بعليّ وأولاده ﭫ لذكر ما يميزون به، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم فقط لذكروا بذلك،** لكنه جعلهم من قريش مطلقاً، لا يختصون بقبيلة منها، فكانوا من تيم وعدي وعبد شمس وهاشم[7].

وحين قال ﷺ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»؛ فلما رجع إلى منزله أتته قريش؛ فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «**الهرج**»[8] قال ابن حجر: «فهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الأربعة، وثمانية من بني أميَّة»[9].

ويرجح هذا: قوله ﷺ: «كلّهم تجتمع عليهم الأمّة»، والمراد باجتماعهم: انقيادهم لبيعته، والذي اجتمعت عليه الأمة هم: الخلفاء الثلاثة ﭫ، ثم علي ﭬ، ثم اجتمعوا على معاوية ﭬ، ثم اجتمعوا على يزيد، ولما مات يزيد اختلفوا؛ إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بعد قتل ابن الزبير ﭬ، ثم على أولاد عبد الملك الأربعة: الوليد فسليمان فيزيد فهشام، وتخلل

رواية أبي بكر الخلال»، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، = (ص٨١).

(١) ابن حزم، «الفصل» (٤/١٠٩).

(٢) ينظر: «الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف» (١١٢).

(٣) رضا، «الخلافة أو الإمامة العظمى» (١٩).

(٤) ينظر: محمد أبو فارس، «النظام السياسي في الإسلام» (١٩٣).

(٥) الرازي، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (٩٥).

(٦) «سنن أبي داود» (٤/٤٧٢).

(٧) ينظر: «آل رسول الله ﷺ وأولياؤه» (٧٠- ٧٢).

(٨) ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (١٣/٢١١).

(٩) ينظر: ابن حجر، «فتح الباري» (١٣/٢١٤).

بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمعوا عليه بعد عمّه هشام، فولي نحو أربع سنين، ثم قتل؛ فانتشرت الفتن بعد ذلك، وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن اجتمع الناس على خليفة بعد ذلك.

فخلفاء بني أمية تولوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم؛ عربية وعلى الكتاب والسنة، وكان الخليفة يدعى باسمه.. عبد الملك والوليد وسليمان، لا يعرفون الألقاب التي اتخذها الآخرون من بعدهم،

وكان أحدهم هو الذي يصلي إماماً بالصلوات الخمس، وفي المسجد يعقد الرايات، ويؤمر الأمراء، ويسكن داره لا يسكن الحصون، ولا يحتجبون عن الرعية، فكانوا في صدر الإسلام وفي القرون المفضلة.

وممن يرى تقديم قريش: الراوندية، وهم أتباع أبي هريرة الراوندي، من فرقة الكيسانية؛ إلا أنهم يعتقدون أنها لا تصح إلا في ولد العباس بن عبد المطلب، ثم أولاد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني[1].

وأتباع زيد بن علي كان من مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وهم يرون أن الخلافة في علي، ثم ولده من فاطمة رضي الله عنها؛ سواء كان حسنياً أو حسينياً[2].

وهناك بعض الفرق الغالية التي تتعلق بآل البيت ترى أن الخلافة لا تتجاوز واحداً منهم، وعامتهم يحصرونها في ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ولا سيما من أبناء فاطمة رضي الله عنها[3].

وهناك من يرى عدم اشتراط القرشية في الخلافة، أول هؤلاء: الخوارج، وهم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه؛ سواء كان في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أو من جاء بعدهم[4]، ويأتي في مقدمتهم: الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

والخوارج أجازوا أن تكون الإمامة في قريش، وأجازوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً؛ وإن احتيج إليه، فيجوز أن يكون عبداً أو حرّاً أو نبطيّاً أو قرشيّاً[5].

وبعض المعتزلة يجيزون الإمامة في غير قريش؛ إلا أنهم لا يجيزون تقديم النبطي على القرشي، أما جمهور المعتزلة فيشترط النسب القرشي.

وممن قال بعدم اشتراط القرشية من الكتاب المعاصرين: العقاد، في «الديمقراطية في الإسلام»[6]، والخربوطلي في «الإسلام والخلافة»[7]، وصلاح الدين دبوس في «الخليفة توليته وعزله»[8]، ومحمد عمارة في «المعتزلة وأصول الحكم»، وإبراهيم بيضون في «الأنصار والرسول ﷺ»، وفيه يقول: «وما لبث المهاجرون أن سيطروا على الموقف في ظل شعارهم: (الأئمة من قريش)... وانفض جمع الأنصار»[9].

وقال عمارة: «روى الطبري وغيره خبر السقيفة بطرق

(١) الأشعري، «مقالات الإسلاميين» (١/ ٩٦).

(٢) الشهرستاني، «الملل والنحل» (١٠/ ١١٢).

(٣) المصدر السابق، (١٠/ ١٢٧).

(٤) المصدر السابق، (١/ ٨٤)، «الإنصاف» (١١٣).

(٥) «الملل والنحل» (١/ ٦٤).

(٦) العقاد، «الديمقراطية في الإسلام» (٦٩).

(٧) «الإسلام والخلافة» (٨).

(٨) «الخليفة توليته وعزله» (٢٧٠).

(٩) «الأنصار والرسول» (ج ٥٨)، «الحجاز والدولة الإسلامية» (١٠).

متعددة، خالية كلها من ذكر الاحتجاج بالخبر المروي: **«الأئمة من قريش»**؛ فهو رأي لأبي بكر ﵁، وليس حديثاً رواه عن رسول الله ﷺ»[١]!

وواضح أن هؤلاء لم يستقصوا البحث حول هذه المسألة؛ فأصدروا الأحكام جزافاً، فخالفوا بذلك النصوص الصحيحة والوقائع التي عاشتها الأمة في أجيالها السالفة.

ولعل الجهل بهذا الحديث الذي تبينت طرقه ورواته، وتعددت نصوصه ومصادره؛ يبين عمق الصلة بين التاريخ الإسلامي والحديث النبوي الشريف، فلو اعتمد الكاتب على كتب الحديث؛ لما جعل من «تارخ الطبري» مصدراً للحكم على إثبات الحديث أو نفيه!

وعلى هذا يتضح بطلان وضعف هذا الرأي؛ الذي لا يستند إلى دليل نقلي، ولا إلى شاهد عقلي، والنقل الصحيح أثبت هذا الحديث، وواقع الأمة التي قدمت قريشاً يؤكد عملها به، ومن ثم لا حجة بأقوال الشواذ عن إجماع الأمة من الخوارج والروافض، أو ممن ينكر النص الصحيح ويقول بهواه، أو ممن لا يمتلك شيئاً عن علوم الحديث وقواعده العلمية الدقيقة؛ فيصدر الأحكام بلا زمام ولا خطام! أو تأكيداً لأهواء مسبقة أو لجهل متراكم في فقه تاريخ الأمة.

ومما سبق يتضح أن للأنصار تصوراً تامّاً عن مسألة الخلافة، وأنها لم تكن مجهولة عندهم، وأن حديث «الأئمة من قريش» كان يرويه كثير منهم، وأن الذين تحدثوا يوم السقيفة لم يكن لديهم علم به، فلما علموا به، ورواه لهم أبو بكر الصدّيق ﵁؛ سكتوا عما كانوا يطالبون به[٢]، ولهذا لم يراجع الصديق ﵁ أحد من الأنصار ﵃ عندما استشهد به، فأمر الخلافة تم بالتشاور والاحتكام إلى النصوص الشرعية والعقلية التي أثبتت أحقية قريش بها، ولم يسمع عن أحد من الأنصار بعد بيعة السقيفة أنه دعا لنفسه بالخلافة، مما يؤكد اقتناع الأنصار ﵃ وتصديقهم لما تم التوصل إليه من نتائج الحوار والشورى.

فلم يعد مقبولاً أن تُجهل كل هذه الحقائق أو تُتجاهل! وينكر وجود الأحاديث الصحيحة سنداً ومتناً، أو يزعم أنها شعار رفعته قريش لاستلاب الخلافة من الأنصار ﵃! فيغمز برابطة الأخوة بينهم، ويُطعن في وحدة الأمة، وتقدم المسوغات الزائفة لهدم الأساس الذي بنيت عليه وحدتها، في دعوات مغرضة، تشوبها السمات الشعوبية؛ التي يعميها حقدها على العرب خاصة، وعلى المسلمين عامة عن كل حق وحقيقة!! قال الإمام أحمد بن حنبل: إن على الخليفة أن «يعرف للعرب حقهم وفضلهم وسابقتهم، ويحبهم، ولا يقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي؛ الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون لهم بفضل»[٣].

فنسبة نصوص الحديث الصحيحة هذه إلى أبي بكر ﵁، أو القول بأنها شعار لقريش؛ نسبة باطلة، وفرية باردة، وأقوال مردودة؛ تفتقد المصداقية العلمية، وتخالف واقع الحياة الذي كان عليه المسلمون في العصر الراشدي وصدر الإسلام، ذلك العصر الذي قام على جهود المهاجرين والأنصار ﵃ ومن تبعهم بإحسان من

(١) «المعتزلة وأصول الحكم» (١٧٦).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٢/ ٢٠٠)، رضا، «الخلافة أو الإمامة العظمى» (١٩).

(٣) ابن أبي يعلى، «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠).

أبناء أمتهم.

فبيعة السقيفة تمت على علم وهدي نبوي صحيح، قائم على معاني قوله ﷺ: **«الأئمة من قريش»**، وعلى إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم؛ الذي مثل الأساس الذي انطلقت منه الأمة انطلاقتها الكبرى بعد وفاة النبي ﷺ في الفتوح والدعوة والبناء.

منهج شيخ الإسلام في كتابه « منهاج السنة» (١-٢)

د.أنس المصري

تمهيد

❁ **في سبب تأليف الكتاب:**

ذكر شيخ الإسلام سبب تأليفه للكتاب بداية، وهو: أنه أُتيَ بكتاب صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصره، منفقاً لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية؛ من أمكنه دعوته من ولاة الأمور وغيرهم من أهل الجاهلية؛ ممن قلّت معرفتهم بالعلم والدين، ولم يعرفوا أصل دين المسلمين[1].

وهذا الكتاب هو كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة»، وقد ألفه ابن مطهر الحلي، وهو: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (٦٤٨هـ-٧٢٦هـ)، عاش في عصر شيخ الإسلام، وتوفي قبله بعامين، أحد صناديد التشيع، تتلمذ لأمثال نصير الكفر ووزير الملاحدة النصير الطوسي.

(١) «منهاج السنة النبوية»، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ٨ مجلدات، (٢/١)، وسيشار له فيما بعد بـ«منهاج السنة النبوية».

وكتابه هذا ألفه للملك المعروف الذي سماه فيه، وهو: خدا بندة، وخدا: كلمة فارسية، تعني: الله، وبندة تعني: عبد. أي عبد الله، وخدا بندة هو الثامن من ملوك الأيلخانية، والسادس من ذرية جنكيز خان، واسمه الجايتو (٦٨٠هـ-٧١٦هـ)، وهو ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن السفاح جنكيز خان، الملقب إيلخان، وإليه تنسب دولتهم.

مات أبوه مقتولاً مقهوراً، وكان ولداه الجايتو هذا، وغازان أخوه؛ فرأيا أن من مصلحتهما السياسية الدخول في الإسلام ومسايرة الشعوب التي يتوليان الحكم في أوطانها، أما غازان فاختار مذهب أهل السنة، فلما خلفه في الحكم أخوه خدابندة سنة ٧٠٣هـ؛ تسلطت عليه حاشية من دعاة التشيع.

يقال: إن الجايتو غضب يوماً من زوجته؛ فطلقها ثلاثاً، ثم أراد أن يردها إلى عصمته، فقال له فقهاء أهل السنة: إنه لا سبيل إلى ذلك؛ حتى تنكح زوجاً غيره، وصعب عليه ذلك؛ فأشار عليه رجال حاشيته من الشيعة بأن يدعو فقيهاً من علماء الحلة، وهو ابن المطهر هذا، وأكدوا للسلطان أن بأن المطهر هو الذي يخرجه من هذه الورطة، فلما حضر ابن المطهر واستفتاه السلطان فيما وقع منه من الطلاق ثلاثاً، سأله: هل طلقت بمحضر شاهدين عدلين؟ قال السلطان: لا، فأفتى له ابن المطهر بأن الطلاق لم تتحقق شروطه، ولذلك لم يقع، وله أن يعاشر زوجته كما كان يعاشرها قبل الطلاق؛ فسر خدا بندة بهذه الفتوى، واستخلص ابن المطهر لنفسه، وجعله من بطانته، وبتسويل ابن المطهر كتب خدا بندة إلى عماله في الإمصار بأن يخطب باسم الأئمة الاثني عشر على المنابر، ونقش أسماءهم على نقوده، وأمر بأن تنقش على جدران

المساجد.

وهكذا تشيعت الدولة في مملكته بفتوى ابن المطهر؛ التي أعفت السلطان من أن تعود إليه زوجته بعد أن تنكح زوجاً غيره.

هذه الخطوة الأولى في التشيع الرسمي للدولة في خراسان وإيران، ويقال: كان ذلك سنة ٧٠٧هـ، وكانت هذه تمهيداً لقيام الدولة الصفوية بعد ذلك؛ والتي قامت على أفكار وعقائد كان يعتبرها الشيعة أنفسهم قبل ذلك غلوّاً، وينكرون على كل شيعي يعتقد هذه الاعتقادات.

ولما استقرت الدولة الصفوية صار كل ما يسمونه غلوّاً عندهم من ضروريات الاعتقاد، كما اعترف علامتهم المامقاني في مواضع كثيرة من كتابه «تنقيح المقال»[1].

ويؤيد هذا: ما ذكره شيخ الإسلام؛ حيث قال[2]: «كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان.

وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر؛ من الأوائل والأواخر، حتى ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخي، قال: سأل سائل شريك بن عبد الله ابن أبي نمر؛ فقال له: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟! فقال: نعم، إنما الشيعي من قال مثل هذا».

(١) «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» (ص ١٧-١٩)، بتصرف، والكتاب مختصر لكتاب «منهاج السنة»، اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب، مجلد.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٣).

❁ منهج شيخ الإسلام في كتابه منهاج السنة:

© المطلب الأول: معرفة منشأ البدعة، وكيفية تطورها، والمراحل التي مرت فيها:

وهذا أمر أساس في نقد البدع ومناقشتها؛ سواء كانت تلك البدعة عقلية فلسفية، أو شرعية؛ فمعرفة بدايات تلك البدعة، ومن صاحب ذلك القول؛ يؤثر على منهجية البحث؛ إن كان من الفلاسفة القدماء، ثم قال بها الرافضة، أو هي من أصول المعتزلة، أو الجهمية، أو غيرهم.

ولما تكلم شيخ الإسلام في البدع ورد عليها عمل عرضاً تاريخيّاً لنشأتها ونشأة المذاهب الكلامية، وكيف تطورت في الإسلام؛ فبدأ من عهد الرسول ﷺ، ثم ما حصل زمن عثمان من الفتنة، وما حدث في صفين والجمل، ومروق فرقة من الطائفتين، ثم ادعائهم الإلهية لعلي رضي الله عنه، وما فعله بهم من تحريق وتقتيل، ثم ظهور السابين على أبي بكر وعمر؛ كيف ظهروا وتطوروا.

وذكر أصحاب تلك البدع والمؤججين لها؛ كعبد الله بن سبأ، وغيره، ثم تطور هذه الفرق زمن التابعين، وانتشارها، وانقسام فرقها، وتعدد أفكارهم، والمعتقدات التي اتفقوا عليها واختلفوا فيها، ثم ظهور الجهمية والمعتزلة، وما آلت إليه أفكارهم ومعتقداتهم، وأصول مناهجهم.

ثم ظهور الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم، وأنهم ظهروا بعد انقراض العصور المفضلة، والظروف التي ظهروا بها من ضعف لنور الإسلام، وما فعلوه من طعن في دين الإسلام؛ كالخرمية والقرامطة.

وأن عقلاء الفلاسفة والمتكلمين عرفوا ما في الإسلام من خير وصلاح.

ثم تكلم شيخ الإسلام عن أرسطو، وزمان ظهوره، وظروفه المحيطة، وأفكاره التي قام عليها، ثم تكلم عن ظهور الباطنية والملحدين، وما أرادوا من هدم الدين.

وبعد أن قدّم شيخ الإسلام بكل هذا وفصّله، وبيّن أصول معتقداتهم؛ بدأ بطرح مسألة (قدم العالم)، وسبب ظهورها وتكونها عند تلك الفرق، وما هي أصول الاعتقاد التي دفعتهم للقول بقدم العالم، فيسّر عليه ذلك معرفة طرق مناظرتهم والرد عليهم، وأمكن للقارئ أن يعرف أصول معتقداتهم[1].

ولما تكلم عن مسألة (إثبات القدر)؛ ذكر أقوال أهل السنة فيها، وقول من خالفهم من المعتزلة والشيعة، ثم ذكر أن الشيعة لم يكونوا على هذا القول، ولكنهم تحولوا إليه تأثراً منهم بالمعتزلة؛ فقال[2]: «ففي الجملة لم تثبت المعتزلة والشيعة نوعاً من الحكمة والرحمة إلا وقد أثبت أئمة أهل السنة ما هو أكمل من ذلك وأجل منه، مع إثباتهم قدرة الله التامة، ومشيئته النافذة، وخلقه العام.

هؤلاء لا يثبتون هذا ومتكلمو الشيعة المتقدمون كالهشامين وغيرهما كانوا يثبتون القدر كما يثبته غيرهم، وكذلك الزيدية؛ منهم من يثبته، ومنهم من ينفيه، فالشيعة في القدر على قولين، كما أن المثبتين لخلافة الخلفاء الثلاثة في القدر على قولين.

ولما تعرض لبدعة الشيعة في تعظيم القبور، والطواف بها، والرحلة إليها، والتبرك بها؛ ذكر منشأ ذلك، وأنه لم يكن على زمن الرسول والصحابة الكرام، ولم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ لأمته، ولا فعله آل البيت، ولا غيرهم، لا على قبر نبي ولا صالح، ولم يفعله الصحابة ولا التابعون، ولم يفعله من بعدهم من بني أمية ولا العباس؛ ولكنهم رأوا النصارى فعلوه على قبورهم وأوثانهم، وهو مخالف لمبدأ التوحيد، وتابعهم عليه الشيعة؛ حتى صاروا إلى ما صاروا عليه اليوم»[3].

وقال[4]: «وأول ما ظهر إطلاق لفظ (الجسم) من متكلمة الشيعة؛ كهشام بن الحكم؛ كذا نقل ابن حزم، وغيره».

فكل هذه الأمور التي كان يصدر بها قبل شروعه في مناقشة أصحابها؛ دلت على معرفته السابقة بأصول البدعة، وأسباب ظهورها، والظروف المحيطة بها، فعلم منشأ البدعة، وتطورها، والحال التي آلت إليها.

وكل هذا ضروري عند مناظرة الخصوم في مسائلهم ومعتقداتهم.

© المطلب الثاني: تقييمه العام للرافضة:

إن معرفة حقيقة القوم أصل يتفرع عنه الحكم على أقوالهم، ومعرفة غاياتهم وأفكارهم، لذلك فإن معرفتهم معرفة تامة، ودراسة أفكارهم تعطي القارئ فرصة للحكم عليهم، وعدم الاغترار بأقوالهم، والانخداع بادعاءاتهم.

قال شيخ الإسلام[5]: «والصحابة أكمل الأمة في ذلك، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحداً من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد من ينازع في ذلك -كالرافضة- من أجهل الناس!

---

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣١٨ وما بعدها).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٤٦٥).

(٣) انظر «منهاج السنة النبوية» (١/ ٤٨٠ وما بعدها).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢١٧).

(٥) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٨٠-٨١).

ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة: جيش رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام، وأقاموه، وجاهدوا عدوه؛ من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي.

وأكثر ما تجد الرافضة؛ إما في الزنادقة المنافقين الملحدين، وإما في جهال ليس لهم علم لا بالمنقولات ولا بالمعقولات، قد نشأوا بالبوادي والجبال، أو تحيزوا عن المسلمين؛ فلم يجالسوا أهل العلم والدين، **وإما في ذوي الأهواء**؛ ممن قد حصل له بذلك رياسة ومال، أو له نسب يتعصب له؛ كفعل أهل الجاهلية».

وقال شيخ الإسلام[١]: «وأما الرافضة -كهذا المصنف، وأمثاله من متأخري الإمامية-؛ فإنهم جمعوا أخس المذاهب: مذهب الجهمية في الصفات، ومذهب القدرية في أفعال العباد، ومذهب الرافضة في الإمامة والتفضيل».

هذا ما ذكره شيخ الإسلام عنهم إجمالاً، وقد تكلم عنهم مفصلاً لمعتقداتهم وأصولهم الفكرية والعقدية، وموارد تلك المعتقدات، ومن أي الفرق دخلت عليهم.

وانقسم تقييمه لهم إلى عدة محاور:

¤ الأول: التقييم العقدي:

عمد شيخ الإسلام بداية الكتاب -وقبل الرد على ابن المطهر- إلى بيان وصف الرافضة، والتكلم عن أحوالهم؛ حتى يتبين للقارئ أولئك القوم الذين سيتحدث

(١) «منهاج السنة النبوية» (١٠/٨).

عنهم؛ فقال شيخ الإسلام[٢]: «الذين لا يوجبون اتباع دين الإسلام، ولا يحرمون اتباع ما سواه من الأديان، بل يجعلون الملل بمنزلة المذاهب والسياسات التي يسوغ اتباعها، وأن النبوة نوع من السياسة العادلة التي وضعت لمصلحة العامة في الدنيا».

¤ والثاني: تقييم أصولهم العلمية والفكرية:

ثم نقد شيخ الإسلام منهج النقل عندهم، والتعامل مع العقليات؛ ليُعلم مدى تحريهم للصحيح، وطرق الاستدلال عندهم، ودرجة مصداقية كلامهم، وتقييم شبههم والتعامل معها؛ فقال[٣]: «والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل**!** ويكذبون بالمعلوم من الأضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلاً بعد جيل**!!** ولا يميزون في نقلة العلم ورواة الأحاديث والأخبار بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار».

ثم نقل كلام أهل العلم فيهم من السلف؛ كمالك، والشافعي، وشريك، والأعمش، وأصحاب الحديث؛ ممن يعرفون الأسانيد ويحفظون طرقها.

ثم قال[٤]: «ومنهم من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد**!** فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستولوا بهم على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/٦).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (١/٨).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (١/١١،١٠).

الأمـوال، وسـفكوا الـدم الحـرام، وجـرى عـلى الأمـة بمعـاونتهم مـن فـساد الـدين والـدنيا مـا لا يعلمـه إلا رب العالمين!!». انتهى كلامه.

ويلزم هذا المنهج عند مناقشة الخصم لبيان مستواه الفكري، وطرق تفكيره، لذلك فإن شيخ الإسلام يقوم أحياناً بعرض أفكارهم ومعتقداتهم في المسائل؛ ليعلم القارئ علام تقوم معتقدات القوم؛ فقد ذكر الشيخ بعض حماقـاتهم في تـرك بعـض المطعومـات والملبوسـات، وكرههم للتلفظ بلفظ (عشرة)؛ بسبب بغضهم للعشرة المبشرين بالجنة، فلا يبنون على عشرة أعمدة، ولا فعل شيء يكـون عـشرة، مـع كـون أن عليّـاً رضي الله عنه مـن أولئـك العشرة المبشرين بالجنة! وهو أمر في غاية الحماقة -كما ترى!!-[1].

¤ الثالـث: معرفـة مـواردهم العلميـة والعقديـة والفكرية:

وهـذا يفيـد في منهج الـرد علـيهم؛ فإن كـانوا أخذوا شبهتهم عـن المعتزلـة؛ سيكون رده علـيهم بـنفس أسـلوب رده عـلى المعتزلة، وإن أخذوه عن اليهود أو النصارى أو غيرهم؛ تشابهت طريقة الرد عليهم.

وهــذا يــساعد -أيــضاً- في تقيـيم مـدى مجـانبتهم للصواب، وبعدهم عن معتقدات أهل السنة.

فعندما عرض شيخ الإسلام نظرتهم للمهدي، وأن الله إنـما بعثـه لطفـاً منـه بالعبـاد، ومـن أراد أن يفعـل في شخص خيراً يسر له ما يعينه على فعل ذلك من الأسباب، كمن يزور شخصاً؛ فإن أراد به خيراً تبسم له وأجلسه، وإن لم يـرد بـه خيراً عبس في وجهـه وأغلـق البـاب؛ قـال شـيخ الإسـلام بعد ذلك: «وهـذا أخذوه مـن المعتزلـة، ليس هـو من أصول شيوخهم القدماء»[2].

وعندما عرض أدلتهم النقلية التي يعتمدون عليها، قـال: إنـما عمـدتهم في المنقـولات عـلى تـواريخ منقطعـة الإسـناد، وكثيراً منهـا مـن وضـع المعـروفين بالكـذب، بـل وبالإلحاد[3]، وقال[4]: «وعمدتهم في الشرعيات: ما نقل لهـم عن بعض أهل البيت، وذلك النقل منه ما هو صدق، ومنـه مـا هـو كـذب؛ عمـداً أو خطـأً، ولـيسوا أهـل معرفـة بصحيح المنقول وضعيفه؛ كأهل المعرفة بالحديث».

وقــال[5]: «الـشيعة فـيهم طوائـف تثبـت القـدر وتنكـر مسائل التعديل والتجوير، والذين يقرون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فيهم طوائف تقول بـما ذكره من التعـديل والتجوير؛ كالمعتزلة وغيرهم.

ومعلـوم أن المعتزلـة هـم أصـل هـذا القـول، وأن شــيوخ الرافــضة كالمفيــد والموســوي والطــوسي والكراجكي وغيرهم إنما أخذوا ذلك من المعتزلـة، وإلا فالشيعة القدماء لا يوجد في كلامهم شيء من هذا».

وقــال[6]: «وفي الجملـة فـالقوم لا يثبتـون لله مـشيئة عامة، ولا قدرة تامة، ولا خلقاً متناولاً لكل حادث، وهذا القول أخذوه عن المعتزلة؛ هم أئمتهم فيه». انتهى كلامه.

فعلـم إذن أن عمـدة القـوم في العقليـات هـم أهـل الكلام من المعتزلة والجهمية، ومواردهم من النقليات هو ذو أسانيد منقطعة -إن وجدت-، وما يدعون أنه

(١) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٨).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٠١).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٨).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٦٩).

(٥) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٢٨).

(٦) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٣٠).

منقول عن أئمتهم المعصومين، وأما ما نقل عن الرسول ﷺ؛ فكيف سيعتقدون صحته إن كفّر متأخروهم جماهير الصحابة؛ فما بقي لهم من دينهم؟

¤ **الرابع: المعرفة التامة بأقوال الخصوم، وتفصيلات المسائل عند الفرق الأخرى، وأوجه الاتفاق والافتراق بينهم:**

وهذا أمر ملحوظ عند شيخ الإسلام في مناظرته للخصم، فيظهر منه معرفة أقوال الخصم معرفة تامة، حتى إذا حاول التملص أو التهرب؛ رده إلى أصل قوله، وكذلك معرفته بأقوال الفرق الأخرى التي توافق قول الخصم، والفرق التي تخالفهم، فيقارن بينها.

وهذا يعينه -كما سيأتي- على مناقشة الأقوال كلها، وطرح المسألة بأوسع صورها، والإحاطة بها، ورد جميع الشبه عنها.

كما ذكر في جوابه عن تسلسل الحوادث وتجددها عند الشيعة؛ فذكر الآراء كلها في المسألة، مشيراً لصاحب كل قول، وناقش تلك الأقوال على التفصيل، وغيرها من المسائل[1].

ومثل رده على ابن المطهر -لما ذكر قولاً عن الشيعة-، قال[2]: «ما نقله عن الإمامية لم ينقله على وجهه؛ فإنه من تمام قول الإمامية الذي حكاه، وهو قول من وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم من متأخري الشيعة؛ أن الله لم يخلق شيئاً من أفعال الحيوان؛ لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا غيرهم، بل هذه الحوادث التي تحدث تحدث بغير قدرته ولا خلقه».

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٤٦).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٢٩).

ولما تكلم على مسألة؛ أن الفعل لا يشترط به تقدم العدم؛ أورد حجج ابن سينا العشرة، وموافقة الرازي له فيها، ثم رد عليهما رداً مطولاً ومفصلاً، ثم أورد كلام أرسطو في المسألة، ورد عليه في كل البراهين الخمسة التي أوردها، ثم بين أوجه الصواب في المسائل تلك[3].

وكلامه عن اختلافهم على عصمة الأنبياء على قولين ظاهر في معرفة اختلافاتهم وأقوالهم، وعليه فيمكنه محاجتهم بما يعلم عنهم؛ قال شيخ الإسلام[4]: «وأما قوله: وأن الأنبياء معصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغيرها وكبيرها، من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه، فانتفت فائدة البعثة، ولزم التنفير عنهم.

فيقال: أولاً: إن الإمامية متنازعون في عصمة الأنبياء.

فالفرقة الأولى منهم: يزعمون أن الرسول جائز عليه أن يعصى الله، وأن النبي قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر، فأما الأئمة؛ فلا يجوز ذلك عليهم؛ فإن الرسول إذا عصى فإن الوحي يأتيه من قبل الله، والأئمة لا يوحى إليهم، ولا تهبط الملائكة عليهم، وهم معصومون؛ فلا يجوز عليهم أن يسهوا ولا يغلطوا؛ وإن جاز على الرسول العصيان، والقائل بهذا القول هشام بن الحكم.

والفرقة الثانية منهم: يزعمون أنه لا يجوز على الرسول أن يعصى الله ﷻ، ولا يجوز ذلك على الأئمة؛ لأنهم جميعاً حجج الله، وهم معصومون من الزلل، ولو جاز عليهم السهو واعتماد المعاصي وركوبها؛ لكانوا قد

(٣) انظر «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٣٩ وما بعدها).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٣٩٣).

ساووا المأمومين في جواز ذلك عليهم، كما جاز على المأمومين، ولم يكن المأمومون أحوج إلى الأئمة من الأئمة؛ لو كان ذلك جائزاً عليهم جميعاً.

وأيضاً فكثير من شيوخ الرافضة من يصف الله -تعالى- بالنقائص».

وكما رد على ابن المطهر؛ لما قال في إمامة باقي الأئمة الاثنى عشر[1]: «لنا في ذلك طرق، أحدها: النص، وقد توارثته الشيعة في البلاد المتباعدة خلفاً عن سلف عن النبي ﷺ أنه قال للحسين: هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة؛ تاسعهم قائمهم، اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

قال شيخ الإسلام: «والجواب من وجوه: أحدها: أن يقال: أولاً: هذا كذب على الشيعة، فإن هذا لا ينقله إلا طائفة من طوائف الشيعة، وسائر طوائف الشيعة تكذب هذا، والزيدية بأسرها تكذب هذا؛ وهم أعقل الشيعة، وأعلمهم، وخيارهم، والإسماعيلية كلهم يكذبون بهذا، وسائر فرق الشيعة تكذب بهذا؛ إلا الاثنى عشرية! وهم فرقة من نحو سبعين فرقة من طوائف الشيعة». انتهى كلامه.

فمعرفته بتفصيلات تلك المسائل وتفريعاتها القائلين بها هي من أصل العلوم عن الأئمة المناظرين لخصوم السنة، وعليه أمكنه التفوق على خصومه؛ لأنه حوى عنهم وعن غيرهم أكثر مما حووا.

© المطلب الثالث: الشمولية والاستطراد في مناقشة الأقوال بأوسع مما طرحه أصحاب الشبهة:

من الملاحظ على منهج شيخ الإسلام في ردوده على المبتدعة بشكل عام أنه يناقش الشبه المطروحة بأوسع مما عرضه أصحابها، ولا يقف عند حدود الشبهة التي طرحها الخصم، بل يردها من أصولها، ويتوسع في مناقشة كل ما يتعلق بها من شبه؛ حتى يبعد عن ذهن القارئ صاحب الشبهة المطروحة، ويثبت في ذهنه الرد الوافي لتلك الشبهة، ويعلم أصول المسألة الصحيحة.

فشيخ الإسلام لا يناقش ابن المطهر في هذا الكتاب وحده، بل يناقش الرافضة بأفكارهم المختلفة وأصولهم العقدية، بل ويتوسع بالرد على كل ما شابه قوله قولهم، ويبين خطأه، ويناقش كل ما كان على شاكلته من الفرق الأخرى، والديانات الباطلة؛ كاليهود والنصارى والزنادقة والملحدين، ويكون الرد على شبهة ذلك المبتدع مضمناً في ذلك.

وهذا له عدة فوائد -كما هو معلوم-:

◙ **أولها:** أن القارئ لهذا الرد يدرك أصول المسألة، وجوانبها، ويعرف صحيحها.

◙ **ثانيها:** أنه يرسخ منهجية رصينة للرد على أصحاب البدع، وهو الرد على الشبه المطروحة من كل جوانبها العقلية والمنطقية الممكنة.

◙ **ثالثها:** أنه يكون ردّاً على كل أصحاب هذه الشبهة؛ وإن اختلفت آراؤهم فيها، ولكنهم جميعاً خالفوا منهج الصواب فيها.

وغير ذلك؛ من عدم تكرار الرد، والمقارنة بينهم وبيان أسوء أقوالهم، وأبعدها عن الصواب.

ومثالها: أنه لما تحدث عن تسلسل الحوادث، وبين سبب إنكار الشيعة له؛ توسع في موضوعه؛ حتى ناقش مسألة (قدم العالم) نقاشاً تفصيليّاً مطولاً، لكونها أصل في مسألة التسلسل، ولم يقتصر على مناقشة تسلسل العالم

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨/٢٤٧).

فقط، فرد بذلك على المعتزلة والجهمية والمتكلمين، ولم يتوقف على مناقشة الرافضة فحسب[1].

ومثل: رده على الشهرستاني وابن سينا في قولهما في أفعال الله؛ بعدما أجمل الرد على الرافضة ومن قال بقولهم[2].

ومثل: إجماله في الرد على الجهم بن صفوان وأبي هذيل العلاف في قولهما في أنواع الحوادث، بعدما رد على المتكلمين ومن وافقهم من الرافضة وغيرهم، ثم رد على ابن ملكا والكلابية، والكرامية وابن سينا[3].

ولما ناقش ديموقراطيس والرازي، ودحض قولهما بحدوث العالم، وحدوث ما فيه بلا سبب؛ ذكر قول الآخرين فيه، وقال: وكلا القولين في غاية الفساد.

وبعد رده على هؤلاء كلهم، قال[4]: «وأما الآخرون؛ فإنهم أثبتوا حدوث العالم، فإن كانوا ينفون الصانع بالكلية؛ فقد قالوا بحدوث الحوادث بلا محدث، وإن كانوا يقولون بالصانع؛ فقد أثبتوا إحداثه لهذا النظام بلا سبب حادث؛ إن قالوا: إن الرب لم يكن يحركها قبل انتظامها، وإن قالوا: إنه كان يحركها قبل انتظامها، ثم إنه ألفها؛ فهؤلاء قائلون بإثبات الصانع، وحدوث هذا العالم، وقولهم خير من قول القائلين بقدم هذا العالم».

ولما رد الشيخ مسألة (قدم العالم) لم يلتفت إلى ابن المطهر في المسألة؛ لأن أصل المسألة من المعتزلة، وتكلم فيها ابن سينا وأرسطو والرازي، فرد الشيخ على هؤلاء، وأتى بالبراهين التي اعتمدوا عليها، ورد كل برهان من عدة وجوه.

وهذا جعل الشيخ يناقش المسألة عند كل فرق الفلاسفة والمتكلمين، ويرد عليهم، ولم يقتصر رده على الرافضة.

ثم أثبت الرأي الصواب في المسألة[5]**؛ فتبين مدى قزم الرافضة أمام رده الوافي على أولئك المتكلمين الفلاسفة.**

ولما طرح مسألة (وجود الإرادة التامة عند حدوث الفعل)؛ ذكر آراء جميع الفرق القائلة بهذا، فبيّن مذهب الجمهور، والقدرية، والجهمية، والجبرية والأشعري، والرازي، ثم ناقشها، وبيّن وجه الصواب فيها، ونقض أقوال الفلاسفة، وبيّن غلطهم[6].

وهذا جعل الشيخ يناقش المسألة عند كل فرق الفلاسفة والمتكلمين، ويرد عليهم، ولم يقتصر رده على الرافضة.

ثم أثبت الرأي الصواب في المسألة؛ فتبين مدى قزم الرافضة أمام رده الوافي على أولئك المتكلمين الفلاسفة

وهذا منهج واضح عنده يكاد -من تتبعه- يعلم أنه أضفاه على معظم كتابه.



(١) انظر: «منهاج السنة» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «منهاج السنة» (١/ ١٧٣).

(٣) انظر: «منهاج السنة» ١/ ٢١٠ وما بعدها).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢١١).

(٥) انظر: «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٠١ وما بعدها).

(٦) انظر «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٩٧ وما بعدها).

خوش صدور انقلاب: نموذج لبنان

علي حسين باكير - باحث في العلاقات الدولية

خاص بـ «الراصد»

تناولت أقلام كثيرة زيارة نجاد الأخيرة إلى لبنان بالتحليل والتفكيك؛ لا سيما انعكاساتها المحليّة والإقليمية.

وقد بدا واضحاً أنّ زيارته إلى لبنان تركت رسائل عديدة على أكثر من صعيد لمختلف الأطراف الإقليمية والدولية، لكنّها في المقابل فتحت المجال واسعاً أمام إعادة طرح تساؤلات حسّاسة، كان ينظر لها حتى وقت قريب على أنّها جزء من الماضي، وأنّ النقاش حولها حسم لغير رجعة، وأهمها: تلك التي تتناول موضوع تصدير الثورة الإيرانية (صدور انقلاب بالفارسية تعني: تصدير الثورة) إلى البلدان العربية، ومستقبل الشيعة العرب في ظل الصعود الإيراني.

وإذا كان هناك من معطى رئيسي يجب أن نستنتجه من هذه الزيارة -فيما يتعلّق بالتساؤلات أعلاه-؛ فهو أنّ مفهوم تصدير الثورة الإيرانية بما يحمله من تداعيات على البلدان التي يتم تصديرها إليها؛ قد نجح نجاحاً باهراً، وأنّ حزب الله في لبنان يعدّ النموذج الأكثر كمالاً، والبرهان الأكثر سطوعاً على ذلك.

وفي تشريحنا لدور حزب الله وطبيعة عمله كتابع عضوي لإيران الولي الفقيه؛ سنلاحظ أنّ تصدير مفاهيم الثورة الإيرانية يعدّ وظيفة أساسية من وظائفه المتعددة، فهو يقوم بتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكافة مضامينها الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية والأمنية إلى البيئة اللبنانية.

وكون الحزب شيعيّاً من الناحية الطائفية والمذهبية؛ فإن المستهدف الأول في الدائرة الصغرى -إن صح التعبير- هو البيئة الشيعية غير التابعة للولي الفقيه، وبالتحديد البيئة الشيعية العربية التي تتعارض أجندتها الوطنية والقومية مع المشروع الإيراني، ومع القاعدة الشرعية للولي الفقيه.

ففي إطار صناعة العقل الشيعي في لبنان؛ كتب قاسم قصير مقالاً مهمّاً حول خارطة المؤسسات التي تعمل على هذا الإطار من الناحية الثقافية، وبشكل مصغّر في الضاحية الجنوبية للبنان؛ حيث التمركز الشيعي في بيروت.

ووفقاً للمقال نفسه؛ فإن حزب الله يشكّل الوعاء الأكبر للضخ الثقافي الذي يتم عبر مؤسساته الثقافية والدينية والبحثية والتربوية والحزبية.

ويقسّم الباحث أدوار مؤسسات الحزب على الشكل التالي:

أولاً: الوحدة الثقافية المركزية، ولها الدور الأهم، ويشرف عليها المعاون الثقافي لرئيس المجلس التنفيذي لحزب الله.

ويتبع لها العديد من المؤسسات، أهمها: «جمعية المعارف الثقافية»، وتقوم هذه الجمعية بإصدار مئات الكتب والدراسات التي تقدم الثقافة الحزبية بأشكال متعددة، إضافة لإصدار مجلة حزبية داخلية باسم «بقية الله».

ثانياً: الحوزات والمراكز الثقافية والمساجد والحسينيات التابعة للحزب، والتي تتولى إعداد علماء الدين والأطر، أو احتضان الدروس والأنشطة الثقافية.

وتتولى قيادة الحزب تحديد المناهج التي تدرسها

الوحـدات الثقافيـة تحـت اسـم «دورات جنـود الإمـام المهـدي» وهـي تنقسم إلى عـدة مستويات: «الجنـود، الأنصار، الممهدون».

ثالثاً: المؤسسة الإسلامية للتربية، وهي تتولى رعاية المدارس الأكاديمية التابعة لـ «حزب الله»، إضافة لجمعية «كشافة المهدي»، ومؤسسات «الشهيد»، و«الإمداد»، و«مؤسسة الجرحى»؛ والتي تساهم في متابعة عوائل الشهداء والجرحى والأيتام.

رابعاً: أمّا على صعيد المراكز البحثية والثقافية؛ فيتولى «المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق» و«مركز الإمام الخميني الثقافي» هذه المهمة؛ من خلال إصدار الدراسات، وإقامة المؤتمرات والندوات.

كما أنشأ الحزب مؤخراً هيئتين تعنيان بالتثقيف الاجتماعي، وهما: «جمعية قيم»؛ والتي تتولى التركيز على الوعي الاجتماعي والمدني، وجمعية «أمان»؛ وتتولى التوعية الأسرية والسلوكية.

ولا ننسى الدور الكبير الذي يلعبه تلفزيون «المنار» و«إذاعة النور»، كما تم تأسيس تلفزيون خاص للأطفال باسم «طه».

يعلّق أحد سكّان القرى الجنوبية - لا نحبذ ذكر اسمه حفاظاً على الخصوصية - على الاختراق الثقافي «الإيراني» الذي يحمله حزب الله إلى بيئته، ومدى خطورته؛ قائلاً: «خذ مثلاً مدرسة المهدي في قريتي الجنوبية الوادعة؛ فهي تتلقف الطفل وهو في بداية تكوّن وعيه الاجتماعي والثقافي والديني، وتعمل على صياغة عقله بشكل منهجي، وضمن دائرة عقائدية معينة، تحيله شبه إنسان! كونه لا يملك الأدوات المعرفية (ولن نقول: النقدية) اللازمة لفهم الأشياء وتعقيداتها.

من هنا يدخل في منظومة الفكر الأوحد والحقيقة الكونية الواحدة والثقافة الاجتماعية الواحدة، ومن المؤكد الولي الفقيه الواحد الأوحد الواجب طاعته مرضاة للخالق، وانتظاراً لمهدي سوف يأتي لينشئ الدولة الفاضلة».

والجدير ذكره هنا: أنّ هذا الدور الذي يتضمن تصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكل مضامينها -كما سبق وذكرنا- لا يهدد فقط «التشيع العربي» -إن صح التعبير- بل يمتد إلى الدوائر الأخرى، **فاستهداف التشيع العربي هو الخطوة الأولى.**

أمّا الخطوة الثانية فهي: الانتقال إلى باقي دوائر المجتمع غير الشيعية.

ولهذا الدور بطبيعة الحال أساليبه وأدواته الخاصة التي قد لا تنفع معها في البداية الأساليب السابقة الذكر، وقد يكون المدخل المالي أو السياسي إليها (المقاومة، والقضية الفلسطينية، والتصعيد الكلامي مع أمريكا وإسرائيل... إلخ) هو المدخل الأفضل لتحقيق هدفها.

ويبدو أنّ إيران أنجزت عبر حزب الله هذه الخطوة في لبنان؛ إذ من المعروف تاريخيّاً أنّ شيعة لبنان هم من أتباع المدرسة النجفية العربية، لكن وبفضل حزب الله فقد تغيّر هذا الواقع على ما يبدو، وبفقدان شخصيات كان لها ثقلها في التأثير على عدم انجراف شيعة لبنان باتجاه إيران؛ كالشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله؛ أصبحت الساحة خالية لحزب الله، وما المشهد الذي أظهرته زيارة أحمدي نجاد في البيئة الشيعية في لبنان إلاّ تعبير بسيط عن هذا «الانجاز» الإيراني.

الخطورة الكبيرة التي تحملها التجربة الإيرانية الناجحة في لبنان فيما يتعلق بتصدير مفاهيم الثورة

الإيرانية، تكمن في أنّها قابلة للتطبيق في الكثير من الدول العربية، وهذا ما تعمل عليه إيران بشكل حثيث، بدليل أنّ بعض مظاهر هذا العمل بدأت تظهر في عدد من الدول العربية التي تمتلك بعض الخصائص المشتركة مع الوضع اللبناني؛ كالعراق، والكويت، والبحرين، واليمن، وأيضاً في دول أخرى.

ومن المهم في هذا المجال القول -أيضاً- أنّ هذا الدور لا يؤثر فقط على البنية السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية للفئة المستهدفة، وإنما سيؤدي في مرحلة من المراحل إلى تهديد السلم الاجتماعي، لأن هذه البرمجة التي تتم لفئات واسعة من المجتمع، ستحيلهم إلى جنود آليين غير قابلين للنقاش والحوار، وستنشأ أجيال لديها بنية ثقافية ودينية دخيلة وغريبة على المجتمع، ستصطدم بأقرانها غير المبرمجة على الموجة الإيرانية في المجتمع ذاته.

ومن المهم في هذا المجال القول -أيضاً- أنّ هذا الدور لا يؤثر فقط على البنية السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية للفئة المستهدفة، وإنما سيؤدي في مرحلة من المراحل إلى تهديد السلم الاجتماعي

وهو ما سيؤدي إلى تحويل غالبية المجتمع لمشروع عدو -تحت مبررات مختلفة طائفية وسياسية ودينية، أو تحت عناوين مختلفة؛ كالمظلومية والحرمان والتهميش والمقاومة والمؤامرة- يجب محاربته وفقاً للبرمجة السابقة.

ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّنا دخلنا مرحلة تهديد السلم الأهلي والاجتماعي؛ نتيجة للجهد الإيراني الكبير، وفق التحليل الوارد أعلاه في الكثير من الحالات في الدول العربية المذكورة أعلاه، وفي غيرها -أيضاً-.

ومن الملاحظ أنّ المشترك في هذه الحالات وجود عاملين أساسيين:

العامل الأول: وجود أقلية شيعية عربية تابعة للولي الفقيه في بيئة شيعية أكبر، تشكّل نسبة معيّنة من المجتمع؛ مهما قلّت أو كثرت.

العامل الثاني: غياب الدولة أو فشلها، وهو مدخل أساسي ورئيسي -أيضاً- في الجهد الإيراني، فحيث تكون الدولة قوية يكون التأثير الإيراني في أضعف مستوياته، وحيث الدولة فاشلة -كما في الكثير من الحالات- يكون التأثير الإيراني في أوجه.

ولذلك نلاحظ أنّ الجهد الإيراني يستهدف -أيضاً- الإطاحة بالدولة العربية، نظراً للعلاقة الكامنة والتي شرحناها بين قوّة الدولة والنفوذ الإيراني.

أمّا التساؤلات المتعلّقة بمستقبل الشيعة في البلدان العربية؛ والتي أثارتها زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد (وما يمثله؛ لكونه مرتبطاً بالولي الفقيه، والحرس الثوري تحديداً) إلى لبنان؛ فلا شك أنّ هذا المشهد الذي ظهر بصورته وحجمه وطبيعته، وما رافقه من مظاهر تتعلق بالصور واللغة المستعملة، والخطب التي ألقيت؛ سواء في الضاحية أو في الجنوب؛ يعزز من الفكرة التي يطرحها البعض حول التشكيك بولاء الشيعة العرب لبلدانهم، وارتباطهم بإيران.

وفي المقابل؛ لا ينكر بعض الشيعة هذا الواقع، وإنما يقومون بإيجاد مسوّغات له تبرر التوجه الحاصل اليوم، فإيران صعدت أخيراً ولا داعي للإنكار، ونفوذها يزداد في المنطقة.

وهو لا يشمل تبني الشيعة العرب؛ وإنما يتعدّاه إلى احتضان جماعات أخرى؛ لأغراض سياسية ودعائية واضحة للعيان.

وحتى الأمس القريب كانت الحجّة لدى هؤلاء أنّ الشيعة يشعرون بغبن كبير يلحق بهم، ويتم بموجبه عزلهم عن المشاركة في الحياة السياسية بشكل فاعل في البلدان التي يتواجدون فيها -وكانت الإشارة تتجه دوماً في هذا المجال إلى دول الخليج-، وأنّ ذلك يؤدي بطبيعة الحال إلى تعزيز ارتباطهم بإيران، أو التطلع إليها للمساعدة.

لكن وإذا ما قارنّا هذه الحجّة بواقع الشيعة في لبنان على سبيل المثال؛ حيث يمتلكون كافة حقوق المشاركة السياسية كباقي المكونات اللبنانية، كي لا نقول: أكثر منهم عمليّاً، ومع ذلك نرى أنّ التبعيّة العضوية هنا تكاد تكون الأقوى مقارنة بواقع الشيعة في باقي البلدان العربية.

البعض الآخر يحاول تبرير هذه الحالة من التبعية لإيران من خلال الحديث عن حرمان، أو عن ترسبات نفسية للحرمان لدى هذه الفئة، لكن هذا الطرح ليس مبرراً على الإطلاق؛ فهو غير صحيح من جهة، وغير واقعي من جهة أخرى.

فعلى سبيل المثال وإذا ما أخذنا لبنان كحالة؛ فهناك العديد من المناطق في الشمال التي تعيش حالة فقر وحرمان أشد بكثير مما يقول هؤلاء أنه موجود في الجنوب، ومع ذلك لا نرى تبعية عضوية لأهل تلك المناطق لأي جهة خارجية.

ولا يمكن أصلاً بأي حالة من الأحوال؛ حتى لو سلمنا جدلاً بوجود حرمان عند أي من الأطراف والفئات في المجتمع أن يكون ذلك مبرراً لتبعية عضوية خارجية!

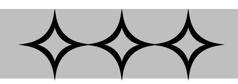
هذه الفئة من المبررين، وهم في غالبيتهم من اللوبي الإيراني العربي -إن صح التعبير- لا تعي مدى الخطر الذي تعرّض فيه نفسها وبيئتها، فالاستقواء بإيران اليوم قد لا يكون متاحاً غداً.

والسؤال الذي يطرح نفسه بطبيعة الحال: ما العمل لاحقاً؟!

أضف إلى ذلك أنّ التجربة تفيد بأنّ إيران لا تهتم إلا بمصالحها؛ حتى ولو كان ذلك على حسابهم، وعلى حساب بلدانهم، وحبّذا لو يتّعظوا من وضع الشيعة العرب في إيران نفسها، ومدى الظلم والحرمان والتعسف الذي يعاني منه هؤلاء بسبب السياسات الإيرانية.

ومن هذا المنطق؛ فمن المفترض أن يكون الشيعة العرب في مقدّمة المتصدّين للجهود الإيرانية التخريبية في البلدان العربية.. قد يدفع بعض منهم الثمن على يد أزلام إيران وتابعيها؛ كما يحصل في لبنان والعراق؛ من إهانة وعزل وإقصاء ونبذ، وتكفير للعلماء الشيعة المعترضين على السياسة الإيرانية التخريبية.

لكنّ هؤلاء يكرّسون انتماءهم الحقيقي للأمة قولاً وعملاً، ويجب أن لا يُتركوا لوحدهم في الساحة، وأن يتم مدّهم بما يحتاجون إليه من وسائل وأدوات؛ كواجب وليس كصدقة أو تمنّن، دون أن يعني ذلك تنازل باقي فئات المجتمع والدول عن القيام بواجبها -أيضاً-.



خاص بـ «الراصد»

لا تـزال أسرار الثـورة الإيرانيـة لم تكـشف بالكامل؛ فلا زال هناك الكثير من نقاط الغموض في تاريخها؛ والتي لا تجد لها تفسيراً واضحاً.

في كتـاب «عبـد النـاصر وثـورة إيـران» لفتحي الـديب -السفير السابق لجمال عبد الناصر في سويسرا-، والصادر سنة ٢٠٠٠ عن مركز الأهرام للدراسات؛ يكشف عن اتصال معارضي الشاه بالنظام الناصري لطلب الدعم ضد الشاه سنة ١٩٦٣م، وأن هذا الموضوع بقي سرّاً لم يطلع عليه إلا عبد الناصر وسكرتيره كمال رفعت والمؤلف! ولذلك حين تولى السادات الحكم بعد عبد الناصر لم يكن يعلم بهذا.

بحسب ما يقوله الديب عن نفسه؛ فهو أصلاً كان ضابط مخابرات مصريّاً، وأن عبد الناصر طلب منه أن تكون السفارة في سويسرا «مركز اتصال متقدم لثورة ٢٣ يوليو منفتحاً على العالم الخارجي» (ص٢٥).

ويوضح الديب أن الاتصال الأول كان من رئيس قبائل قاشقاي محمد ناصر قاشقاي، عقب فشل انتفاضتهم العسكرية ضد الشاه.

أما الاتصال الثاني؛ فجاء مع حركة الحرية الإيرانية بزعامة محمود طالقاني.

والاتصال الثالث جاء مع التجمع الطلابي للجبهة الوطنية بأوروبا.

ويقول الديب أن تعليمات عبد الناصر كانت تقضي بالتركيز على التجمع الطلابي الإيراني؛ باعتباره يجسد القاعدة العريضة لتفاعل الفكر الثوري!!

ويستغرق الديب في سرد وقائع الاتصالات

والتنسيقات والتربيطات بين عبد الناصر وبين هذه القوى المعارضة، وأن إبراهيم يزدي -وزير خارجية الثورة فيما بعد- قد سافر للقاهرة لأجل مزيد من التنسيق والدعم، وقدم خطة مفصلة للثورة على الشاه، وفي الخطة التي وضعها يزدي يظهر جليّاً المطالبة باستغلال الدين ورجاله في الثورة على الشاه، وأهمية ذلك لجذب الجماهير وتحييد الجيش.

ومما قاله يزدي: «لن تنجح الحركة الوطنية في إيران إلا بتجميع قوة الدين مع قوة السياسة» (ص٥٩)، وأن الهدف النهائي هو: «إقامة حكم ثوري وطني ديمقراطي اشتراكي» (ص٦٣)، أو «حكم ديمقراطي اشتراكي إسلامي وطني» (ص٦٧).

ويقول الديب: إن عبد الناصر بعد مطالعته للخطة أكد أن ارتباط الثورة بالزعامات الدينية أمر حيوي ومهم (ص ٧٥)، وطبعاً يتحدث عبد الناصر هنا من واقع خبرة، فبفضل استغلاله لجماعة الإخوان المسلمين ما وصل لحكم مصر!!

وبعد أن تم الاتفاق على الخطة والدعم؛ بدأ عقد دورات في التثقيف السياسي والعسكري للقيادات الإيرانية المعارضة، ودورات على فن حرب العصابات للأفراد، في معسكر بعيد عن القاهرة سنة ١٩٦٤، واستمرت هذه الدورات طيلة سنتي ٦٥/٦٦، ومن ثم انتقل النشاط لبيروت، ويبدو أن هذا تم بالتعاون مع حركة فتح وموسى الصدر.

لكن هزيمة نظام عبد الناصر في حرب ١٩٦٧م، ووفاته بعدها؛ قطع الصلة بين المعارضين للشاه ومصر، بل فتحت صفحة جديدة بين السادات والشاه، وصلت لحد دعم إيران لمصر بالبترول في حرب ١٩٧٣؛ التي كافأ السادات الشاه عليها باستقباله في مصر بعد خروجه من بلده!

تنبع أهمية الكتاب من كون معلوماته الجديدة قد تقدم تفسيراً جديداً لعدة مسائل غامضة في تاريخ الثورة الإيرانية، مثل:

- **سبب لجوء هذه القيادات** الليبرالية والعلمانية والاشتراكية للخميني وأمثاله من علماء إيران للتعاون ضد الشاه؛ بسبب حاجتها للخميني وللعلماء لإقناع الجماهير، وتكشف عن حقيقة دور الخميني في الثورة، وأنه في الحقيقة خطف الثورة ولم يصنعها؛ من خلال المقارنة بين غاية الثورة؛ بحسب خطة إبراهيم يزدي، وبين مصير الثورة تحت القبضة الخمينية!!
- **كما أنها تفسر سبب وجود نشاط شيعي إيراني** معارض للشاه في لبنان من مطلع السبعينيات، منها: طبع كتاب «الحكومة الإسلامية» للخميني في بيروت منتصف السبعينيات!!
- **كما أنها تؤرخ لبداية مرحلة** تحول موسى الصدر من معسكر الشاه إلى معسكر خصومه.



المغنم لإيران، والمغرم للعرب

قالوا: «إيران لم تنفق دولاراً واحداً في لبنان؛ سوى على سلاح حزب الله، فالعرب هم من مولوا إعادة بناء ما دمرته إسرائيل في لبنان خلال حرب تموز».

خالد أبو ظهر، «الوطن العربي»، ١٣/ ١٠/ ٢٠١٠

وغدا مردخاي

قالوا: «توماس داين -مدير الإيباك التنفيذي السابق لأكثر من عقدين- أصبح مدير للعلاقات العامة للرئيس بشار الأسد، براتب يتعدى ١٠ آلاف دولار شهريّاً».

«الوطن العربي»، ١٣/ ١٠/ ٢٠١٠

حقيقة الولاء

قالوا: «إننا نقتدي بقائدٍ واحد، ويجب أن يكون القائد واحدًا، وهو: آية الله الشيخ عيسى قاسم».

علي سلمان -رئيس جمعية الوفاق الشيعية في البحرين- «موقع كتلة الوفاق»، ١١/ ١٠/ ٢٠١٠

ابن عربي من جديد!!

قالوا: «المقصود هو: إنصاف الشيخ ابن عربي، وتجلية البعد الفكري والفلسفي والروحي في كتاباته، والدعوة الى النظر في هذه الكتابات بعقل مفتوح، وأن تؤخذ في إجمالها وكلياتها؛ دون انتقاء أو نظرة جزئية تبعدنا عن الفهم العميق والنقد الموضوعي بغير تحامل».

شيخ الأزهر أحمد الطيب،

«النهار اللبنانية»، ١٥/ ١٠/ ٢٠١٠

لا يريدون تعلم الدين

قالوا: «نظم اتحاد العلويين البكتاشيين بالتنسيق مع عدد من جمعيات العلويين فى تركيا مظاهرة بميدان سكاريا بوسط العاصمة أنقرة؛ من أجل تحريض السلطات على وقف دروس التربية الدينية على المذهب السني للطلبة العلويين في المدارس، وعدم جعلها مادة إجبارية».

«وكالات»، ١٠/ ١٠/ ٢٠١٠

عندما تتضح حقيقة حسن نصر الله

قالوا: «أرى أنه على كل مواطن عربي -مسلماً كان أو مسيحيّاً، سنيّاً أو شيعيّاً- **أن يشكر الله كثيراً** أن منّ علينا بسيد من عيار «نصر الله»، يوضح لنا ويعلمنا ما لا نعلمه، وجميعنا يتمنى أن يستطيع هذا «النابغة» الخروج من خندقه إلى العلن، وأن يخاطبنا وجهاً لوجه، لا من خلال شاشات التلفزة؛ التي تفقدنا بعض ملامحه، وتعابير وجهه، حينها سنشعر بقربه أكثر، وسنصدقه أكثر؛ حتى وإن كذبناه!».

سعود الريس، «الحياة»، ١٦/ ١٠/ ٢٠١٠

في بلد النصيرية.. السنة لا بواكي لهم

قالوا: «قالت مصادر سورية مطلعة: إن إقالة سبعة من أساتذة كلية الشريعة بجامعة دمشق له علاقة مباشرة بمناهضتهم ووقوفهم ضد مشروع التشيع في سورية.

وذكرت المصادر بالمضايقات التي تتعرض لها المعاهد الشرعية في سورية، مقابل التسهيلات الخطيرة التي تحظى بها الحوزات الشيعية؛ والتي وصلت في دمشق لوحدها إلى تسع وثلاثين حوزة معروفة».

«سوريون نت»، ٢٠/١٠/٢٠١٠

عبدة الشيطان في طابا

قالوا: «أقام عدد من الشباب تتراوح أعمارهم من ١٨ إلى ٣٠ عاماً معسكراً في إحدى المناطق الجبلية، وشوهدوا يرقصون رقصاً صاخباً، ويمارس بعضهم الجنس العلني، إضافة لاحتساء بعضهم أكواباً من الدم.

وشارك في الحفلة -التي بدأت بعد الثانية عشر، واستمرت حتى أذان الفجر- عدد من الفتيات اللاتي والشباب الذين لُوحظ تحدثهم اللهجة الخليجية، إلى جانب آخرين من مصر وعرب إسرائيل».

«المصريون»، ١٠/١٠/٢٠١٠

فماذا سيفعلون إذا أصبحت لهم دولة؟

قالوا: «أفاد موقع إخباري يمني من مصادره الخاصة في محافظة صعدة شمالي اليمن أن المتمردين الحوثيين في مديرية ساقين قاموا بإغلاق مسجدين تابعين للسنة، وذلك لإلزام المصلين بحضور صلاة الجمعة في مساجد حوثية».

«البينة»، ١٦/١٠/٢٠١٠

تصدير الثورة يصل إلى المناديل الورقية!!

قالوا: «أمر وزير النفط الكويتي الشيخ أحمد العبد الله بفتح تحقيق؛ بعد عثوره على علبة مناديل ورقية «كلينكس» مطبوع عليها العلم الإيراني على مكتبه!.. كأنما يراد من قبل جهة ما للعلم الإيراني أن يتغلغل في الكويت بطريقة أو بأخرى».

«الوطن الكويتية»، ٢٦/١٠/٢٠١٠

ثم يتحدثون عن الوحدة والتقريب!

قالوا: «كشف الاتحاد الدولي لجمعيات حقوق الإنسان في أحدث تقاريره عن التمييز العرقي والديني الممارس فى إيران بشكل كبير، في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وطالب التقرير المسئولين الإيرانيين بأن يدخلوا تعديلات على الدستور، وقانون العقوبات، والقانون المدني لبلادهم؛ الذى يمارس التمييز ضد المسلمين من غير الشيعة».

«سني نيوز»، ٢٤/١٠/٢٠١٠م

لا يطيقون أن نتحدث عن الصحابة

قالوا: «بثت قناة «الجزيرة القطرية» برنامجاً أثار غضب العديد من المتابعين على تغطية وبث واحدة من أسوا محاضرات التكفير والفتنة الطائفية الموجهة ضد الشيعة؛ والتي أقيمت في الدوحة تحت عنوان: (مكانة الصحابة في الاسلام)».

«وكالة فارس الإيرانية»، ٢/١١/٢٠١٠

اتقوا الله! إنها أُمّ المؤمنين وأُمنا

محمد عبده يماني، «الشرق الأوسط»، ٢٠١٠/١٠/١٣

حسبنا الله على رجال يؤذون رسول الله ﷺ في زوجاته أمهات المؤمنين الطاهرات الكريمات، ويدّعون الانتساب للإسلام زوراً وبهتاناً؛ والإسلام منهم ومن أفعالهم براء!! فما من إنسان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا ويدرك خطورة إيذاء رسول الله في أهله وولده.. وأن الغضب واللعنة يصيبان كل من يتعرض لهذا المقام النبوي الكريم.. فالله @ أكرمه وكرمه وكرم أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته.. فمن يتعرضون لزوجات النبي فإنهم ممن يؤذون رسول الله ﷺ.

لقد ساءنا وساء المسلمين في أنحاء الدنيا ما تكلم به بعض شواذ الأرض عن الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها؛ التي تحدث عنها مع الحبيبة الزهراء، وقال: «**يا فاطمة إني أحبها!**».

وهي سيدة أكرمها الله بأن تكون أم المؤمنين.. تربت في بيت كريم، وحفظت من رسول الله ﷺ الشيء الكثير.. وسمعت من الأحاديث ما لم يسمعه غيرها.. مباشرة منه.. وكانت على علم وفقه؛ حتى أنها صححت لبعض الرواة من الصحابة الأحكام والأحاديث.. ورجع إليها بعض الصحابة ليسترشدوا بأقوالها.. فقد عرفت بينهم بسيرتها الطاهرة..

وزكاها القرآن الكريم، وجاء جبريل عليه السلام بصورتها في قطعة من حرير.. وقال لرسول الله ﷺ: «هذه زوجتك».. وكان ينزل عليه الوحي وهو عندها.

فما بال هؤلاء القوم يتعرضون لها ولسيرتها؟! وهي أمنا وأم المؤمنين.. وأبوها أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين.. وهي أكثر امرأة روت عن رسول الله ﷺ.... عالمة.. حافظة.. ومرجع من مراجع الحديث.. وكان يحبها ويلاطفها.

تربت في بيت أبي بكر الصديق الصدوق؛ ذي الفضل والعلم والرجولة والأدب.. فنشأت في هذا البيت.. ورأت نماذج من تلك الحياة الكريمة والمواقف العظيمة.. ثم عندما انتقلت إلى بيت رسول الله ﷺ رفع الله شأنها.. وجعلها في تلك المرتبة التي توجب على كل مؤمن صادق الإيمان أن يدرك مكانتها.. وأن يتكلم بأدب عنها.

لقد عاشت السيدة عائشة في مهبط الوحي.. ونهلت من القرآن وعلومه، وعاشت وعاصرت جوانب من السيرة النبوية.. وسمعت الحديث النبوي من منابعه.. واستوعبته.. وروته.. وشهد لها رسول الله ﷺ والصحابة بذلك.

فكيف يجرؤ مثل هؤلاء على التعرض لها دون حياء أو خجل أو خوف من الله ﷻ ورسوله ﷺ؛ الذي علمنا أن إيذاء الله -تعالت قدرته- وإيذاء رسوله ﷺ، أو إيذاء صحابته أو المسلمات وحتى المسلم العادي من دون وجه حق، وإيذاء عباد الله عامة؛ يعتبر من أعظم الكبائر؟!

وأعظم هذه الأمور هو إيذاء الله ﷻ، ثم إيذاء رسوله ﷺ في أهله، ومن يفعل ذلك بإصرار وعناد ورغبة في الإيذاء؛ يدخل في نطاق المنافقين، وتحبط أعماله، ويحل عليه غضب من الله ولعنة؛ بموجب نصوص القرآن الكريم.

وهذا نص واضح في كتاب الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

وما دام الله @ يغضب على الذين يؤذون أولياء الله.. ويعلن عليهم الحرب، وجاء النص واضحاً جليّاً في الحديث القدسي: «من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب»؛ فماذا يكون الأمر مع من يؤذي رسول الله ﷺ في نفسه وفي أهله أو أصحابه؟! ففي «صحيح مسلم» عن رسول الله ﷺ قال: **«الله الله في أصحابي! لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، من آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه».**

ومن هنا؛ فإننا جميعاً تألمنا لهذه المقولة الساقطة في حق أم المؤمنين السيدة عائشة، لأن من أبسط حقوق رسول الله ﷺ علينا -كأمة محمد ﷺ- الإجلال والتوقير، والمحبة له ولأهل بيته، وأن لا يتجرأ كل حاقد أو متستر تحت الدين بالإساءة إلى أم المؤمنين، وقد سرني مواقف علماء الشيعة في الرد عليه، وإنكار قوله، وتقبيح فعله، ففي سيرتها وطهارة عرضها وتزكيتها قرآن يتلى إلى يوم القيامة، ومحبتها واجبة على كل مسلم، فهي أم المؤمنين زوج المصطفى ﷺ، وعندما جاءت السيدة فاطمة إلى النبي ﷺ، قال لها: «**ألست تحبين ما أحب يا فاطمة؟**»، قالت: بلى، قال: «**فأحبي هذه**» يعني: عائشة.

ثم إن لها مكانة محترمة وحصانة مشتهرة، وقد جاء صريح القرآن ببراءتها، ثم إن والدها صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وله ذلك الشأن الذي تحدث عنه القرآن.

وقد كان الناس يتحرون يومها، أي: يوم السيدة عائشة؛ فيرسلون هداياهم إلى النبي ﷺ في يومها، وقد وهبت «سودة» يومها لها.

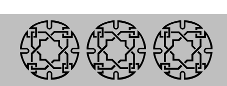
ومما يميزها: أن أباها وجدّها صحابة أعيان: أبو بكر الصديق، وأبوه أبو قحافة، وابنه عبد الرحمن، وحفيده محمد بن عبد الرحمن، وهي أكثر من روى عن رسول الله ﷺ من أمهات المؤمنين، وكانت أفضل زوجة مات عنها رسول الله ﷺ بعد خديجة، وكانت صوامة الدهر، وقد أحبها رسول الله ﷺ، وكان يأنس لها ويلاعبها ويسابقها ويدللها رضي الله عنها.

ولقد كانت السيدة عائشة من أكثر رواة الحديث، ولكنها لم تنفرد إلا بـ ١٣٨ حديثاً؛ رغم أن الأحاديث التي نسبت إليها في الكتب الستة ٢٢١٠ أحاديث، وفي الكتب التسعة هي ٥٩٦٥ حديثاً، وبعد حذف المكرر توصلنا إلى أن ما انفردت به هو هذا الرقم (١٣٨ حديثاً).

وفي الختام؛ نقول لهؤلاء الظلمة الفساق: كفوا عن إيذاء السيدة عائشة وزوجات النبي ﷺ وآل بيته، وليتق الله أولئك الذي يغمزون ويلمزون! وليعلموا أن الله @ حذرهم من مثل هذه الإساءة، والأحرى بهم أن يسألوا الله أن يجزي أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق كل خير -رضي الله عنها وأرضاها-.

ولقد فرحت بالأبحاث التي طرحت عن هذا الموضوع، وحديث العالم الأستاذ أسامة الخياط -إمام المسجد الحرام- وخطبته التي نقلت إلى العالم عن وجوب تكريم السيدة عائشة، وكذلك خطباء العالم الإسلامي في شتى المساجد الذين أوضحوا هذا الأمر، وقبحوا هذا الفعل.

والحق أن مسؤوليتنا جميعاً أن نتصدى لمثل هذه النزعات الظالمة، ولا نسمح لمثل هؤلاء بالتعرض لسيرة المصطفى ﷺ بأي شكل من الأشكال، ونوضح لأولادنا خاصة خطورة كلامهم هذا؛ حتى لا يدلسوا على أولادنا بشبهات خطيرة، وبأساليب مغرية، فهو رسول الله ﷺ، وإن من أوجب واجباتنا الدفاع عنه، وعن آل بيته الطيبين، وأصحابه الغر الميامين.



حكايتي مع جمال البنا

أسامة الهتيمي، «الرسالة أون لاين»، ٢٠١٠/١١/٣

لا شك أن الكثير مما أثاره جمال البنا استفز مشاعر الملايين من المسلمين الذين تابعوا شطحاته وانحرافاته في مشارق الأرض ومغاربها؛ بعد أن تبين لهم أن الأمر تجاوز كبوات العلماء وزلاتهم، وأنه لا يمكن إلا أن يكون الرجل بفكره أداة خبيثة في يد هؤلاء الذين يواصلون الليل بالنهار من أجل تخريب عقول المسلمين وإفساد عقائدهم؛ بزعم الاجتهاد والتجديد اللذان أصبحا لدى هولاء بلا قواعد أو ضوابط تفرق بينهما وبين التخريف والعبث.

الجهاد السياسي: عندما ارتحلت من قريتي بمحافظة الفيوم -شمال صعيد مصر- للالتحاق بجامعة القاهرة في بداية تسعينات القرن الميلادي الماضي؛ كنت أحرص حرصاً شديداً على المشاركة -قدر استطاعتي- في الندوات والمؤتمرات الدينية والثقافية والفكرية التي كانت تعقد في أماكن متعددة من العاصمة المصرية؛ حيث كان انعقاد هذه الندوات هو الدافع الذي جعلني أرجح جامعة القاهرة عن غيرها من الجامعات الإقليمية.

وكان الأهم في هذه المشاركات هو: الالتقاء المباشر بمن قرأنا لهم أو عنهم؛ فتتاح لنا فرصة النقاش والحوار دون واسطة إعلامية ربما تجمل أو تحرف بعضاً مما ينطق به هؤلاء وهو بلا شك فائدة عظيمة، تجعل أحكامنا الصادرة بحق هؤلاء -سواء كانت سلبية أو إيجابية- أقرب إلى الواقع والموضوعية.

وكان من بين هؤلاء الذين التقيتهم في العديد من الندوات: جمال البنا -الشقيق الأصغر للأستاذ حسن البنا (مؤسس جماعة الإخوان المسلمين)-؛ والذي لم يكن وقتها صاحب هذه الشهرة الواسعة؛ حيث اقتصر عارفوه على قلة قليلة من الناشطين الإسلاميين في العمل السياسي الذين لم ينظروا بتأمل إلى إنتاجه الفكري، وركزوا على إنتاجه السياسي؛ خاصة أنه كان معروفاً بنشاطه النقابي ورئاسته للاتحاد الإسلامي الدولي للعمل؛ ومقره جنيف.

فساهم الرجل بشكل أو بآخر في تأصيل مفاهيم النضال والجهاد السياسي؛ لتحقيق الحرية والشورى، والانعتاق من التبعية للغرب وقوى الاستكبار العالمي؛ فضلاً عن الكشف عن تميز المنهج الإسلامي عن غيره من بقية النظريات السياسية؛ كالرأسمالية والشيوعية؛ اللذان كان تطبيقهما في بعض البلدان سبباً في جر العالم إلى الخراب والدمار.

وفي هذا الإطار؛ فقد تعددت كتابات البنا؛ والتي كان من بينها مثلاً: «أزمة النقابة - الإسلام والحركة النقابية - الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل يبدأ المسيرة - الحركة النقابية من منطلق إسلامي - نظم الثقافة العمالية في الوطن العربي - وجوه الائتلاف والاختلاف بين الراسمالية والشيوعية والإسلام - الدولة العصرية - محكمة العدل الدولية الإسلامية - قضية الحرية في الإسلام - الشورى في الإدارة - نحو حركة نقابية مثقفة - ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد ترشيد النهضة - الأزمة والبطالة في الرأسمالية - موقف المفكر العربي تجاه المذاهب السياسية المعاصرة - قصة فرسان العمل - القانون والقضاء في المجتمع الاشتراكي - نقد النظرية الماركسية - العدل في الفكر الأوروبي الفكر الإسلامي - نحو تعددية نقابية دون تفتت أو احتكار - الحركة النقابية حركة إنسانية...».

البنا والشعراوي: الحقيقة أن خطاب جمال البنا كان يبهر سامعيه! خاصة أن حديثه عن الحرية والديمقراطية تزامن مع حملات تصعيدية من قبل الحكومة المصرية آنذاك ضد شباب الصحوة الإسلامية؛ حتى وصل إلى حد اعتقال ألآلاف؛ على الرغم من أن الكثير منهم لم تكن له علاقة من قريب أو من بعيد بأحداث العنف، وهو ما دفع بالكثيرين -أيضاً- إلى استشعار الغبن والظلم.

وأعترف أنني كنت من بين المبهورين بهذا الخطاب؛

الـذي صـادف داخـلي رغبـة حقيقيـة في المـشاركة الـسياسية والتفاعل مع قضايا الوطن من منظور إسلامي، إذ من الواجب أن لا نـترك ساحة العمـل السياسي للعلمانيين والـشيوعيين، في حين يبقى الإسلاميون في دائرة التهميش والاضطهاد.

وقد دفعني ذلك للاقتراب من الرجل شيئاً فشيئاً؛ حتى التقيتـه في مكتبتـه الخاصـة بـشارع الجـيش بالقـاهرة؛ حيـث اسـتقبلني بترحـاب شـديد، ولم يكـن بالمكتبـة سـواه وعامـل البوفيه؛ على الرغم من أنه كان يفتح مكتبته للزوار والباحثين.

وبعـد مناقـشات وحـوارات كثـيرة لا أذكـر منهـا إلا القليل؛ أهـداني الرجـل بعـض كتبـه الأخـرى؛ التي لم أكـن قـد تعرفـت عليهـا بعـد، وقـد أسـعدني ذلـك كثيراً، وأشـعرني بـأن الرجـل عـلى مـستوى إنساني عـالي، قلـما يتـوفر في مفكرينـا وعلماءنـا الـذين يتعامـل بعـضهم -وبكـل أسـف شـديد- بـشيء من التعالي.

وما أن تلقفت الكتب حتى قرأتها بنهم، فأفكار الرجل مختلفة تماماً عن تلك الأفكار التي درسناها وتعلمناها طيلة حياتنا في مدارسنا وفي كلية دار العلوم التـي كنت طالبا بها، فأخـذت أرددهـا وأناقـشها مـع أصـدقائي وزملائـي الـذين صدمتهم هذه الأفكار، فنصحوني بالابتعاد عن قراءة مثل هذه الكتـب؛ حتـى أرسـخ في العلـوم الـشرعية لأفـرق بـين الغـث والثمين.

لم تكن لتثنيني هذه النصائح وهذه المعارك الفكرية مع أقراني عن الاستمرار في الاطلاع على كتب جمال البنا، حتى حدث لي أمر لم أكـن أتخيـل حدوثه؛ إذ جاءني الـشيخ محمـد متولي الـشعراوي في المنام؛ وكـان قـد رحـل / ، فرأيته وكأنـه يقـف مكـان موظـف الاسـتقبال في أحـد الفنـادق، فنـادى عـلي خلال دخولي للفندق، وقـال لي: خـذ هـذه الـصورة -صـورته الـشخصية- وكبرهـا، ودعـك مـن جمـال البنـا؛ سيفـسد عليـك عقلك!

ظلت رؤيـة الـشيخ الـشعراوي تلـح عـلي لأيـام، إلى أن التقيت جمال البنا في أحد مؤتمرات المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، وكـان لـه بـالمؤتمر محاضرة عن الحرية في الإسلام، فجلست معه قبيل المحاضرة، وحكيت له ما رأيت؛ فنظر إلي مبتسماً وقال لي: اسمع كلام الشيخ الشعراوي.

عقدة البنـا: الغريـب أنني لم أنـاقش جمـال البنـا في رده علي! وكـأنني بالفعل كنت أنتظر هـذا الرد، غير أنني تعجبت في الوقت نفسه كيف لا يدافع الرجل عن نفسه أو عن أفكاره، أو عـلى الأقـل يـسخر منـي مـسفهاً اعـتمادي عـلى رؤيـة منامية لتحديد موقفي من بعض الأفكـار، لكنني بعد فترة من التفكير اقتنعـت بـأن الرجـل نفـسه لـيس عـلى قناعـة كاملـة بـما يكتـب ويروج، وأن تبنيه لهذه الأفكار ربما يكون له أسبابه الأخرى.

وبعـد طـول انقطـاع دام لـسنوات؛ صـدرت عـام ٢٠٠١م جريـدة «القـاهرة» الأسـبوعية؛ التـي تـصدرها وزارة الثقافـة المـصرية، فكـان جمـال البنـا أحـد كتابهـا، لـيس باعتبـاره كاتبـاً وفقط؛ ولكن باعتباره ممثلاً عن الإسلاميين.

وفي اعتقـادي أن اختيـار البنا لهـذه المهمـة كانت خطـوة لعبهـا بـذكاء شـديد رئـيس تحريـر الجريـدة، وهـو الكاتـب الـصحفي صلاح عيسي -كاتـب يساري علـماني-؛ حيث رأى في البنـا الشخصية القـادرة عـلى أن تـساهم بـشكل أو بـآخر مـع آخرين من صف العلمانيين في اهتزاز الثوابت لـدى الجماهير المصرية، وهي الرسالة التي ربما قرأها البنا سريعاً؛ فسارع إلى الاستجابة لهـا؛ حتى يثبت أقدامه في الإعلام الحكـومي الـذي ظل طيلة عقود عمره الثمانيين لا ينظر له، ولا يعيره اهتماماً.

وهنـا تكمـن مـشكلة جمـال البنـا الحقيقيـة؛ إذ أنـه وعـلى الرغم من معارفه واطلاعاته وتقانه للغات أجنبية إلا أنه بقي في الظل لا يعرفه أحد، في حين أن شقيه حسن -كـان ومـا زال- ملء السمع والبصر؛ بعد أن نجح في تأسيس جماعة الإخـوان المـسلمين -أكـبر الحركـات الإسـلامية-؛ والتـي ظلـت تـردد أفكاره، وتنشر رسائله بين أتباعها وأنصارها.

والتجاهـل لم يقتـصر فحسب على الإعلام الحكومي، بـل امتـد ليـشمل -أيـضاً- أبنـاء الحركـة الإسـلامية والبـاحثين الإسـلاميين؛ اللـذين لم يلتفتـوا إلى إسـهامات جمـال البنـا في

الفكر والعقيدة والفقه الإسلامي، ومنها: «الإسلام والعقلانية - الاصلان العظيمان - نحو فقه جديد (جزأين) - حرية الاعتقاد في الإسلام - الإسلام والحرية والعلمانية - الدعوات الإسلامية المعاصرة ما لها وما عليها - الأصول الفكرية للدولة الإسلامية - الحكم بالقرآن وقضية تطبيق الشريعة - الربا وعلاقته بالممارسات المصرفية والبنوك الإسلامية - الإسلام هو الحل - تفسير حديث: «من رأى منكم منكراً» - لا حرج - العودة إلى القرآن - خمسة معايير لمصداقية الحكم الإسلامي - تثوير القرآن - مسئولية فشل الدولة الإسلامية في العصر الحديث - كلا ثم كلا: كلا لفقهاء التقليد.. كلا لأدعياء التنوير - الإيمان بالله في القرآن الكريم ولدى السلف والمعتزلة والمعاصرين - المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء...».

فمع كل هذا الإنتاج؛ لم ير هؤلاء في الرجل -آنذاك- أنه مجتهد، أو مفسر، أو حتى فقيه، وبالتالي فإن ما يقدمه ربما يكون محاولات متواضعة منه للإسهام في الكتابات الإسلامية؛ كما يفعل كثيرون من غير أهل التخصص، وهو الأمر الذي ربما لا يدعو للاهتمام بإنتاجه أو النظر فيه، وهو ما كان له أثره السلبي -أيضاً- على شخصية جمال البنا.

وعودة سريعة لأفكار البنا فيما قبل عام ٢٠٠٠، وأفكاره فيما بعد عام ٢٠٠٠م؛ تكشف وبجلاء شديد أن حالة من التطرف الفكري قد أصابت الرجل منذ أن بدأت تتصاعد ردود الفعل تجاه كتاباته في الجريدة؛ حيث ظن أنه وجد ضالته، واستشعر أنه أخيراً التفت له الناس، وشعروا بأن هناك شخص اسمه: جمال البنا.

وفجأة وبلا مقدمات أصبح البنا مفكراً إسلامياً، وأصبح له في كل صحيفة مقال، وفي كل برنامج تلفزيوني مشاركة، ورأي باعتباره المفكر المستنير الذي يطرح رؤية إسلامية عقلانية ليبرالية يمكنها التعايش مع الواقع المعاصر!!

أزمة الليبرالية السعودية

نواف القديمي، «المصريون»، ٢٠١٠/١٠/١٥

أحاول دائماً أن أفصل بين مستوى (الاحترام) ومستوى (الاتفاق) في التعامل مع الآخرين.. فثمة أشخاص وتيارات ومؤسسات يمكن أن نحترمها، وفي نفس الوقت قد نختلف معها بشكلٍ جذري.. وفي المُقابل هناك تيارات وأشخاص قد نتفق معهم في مُعظم الأفكار، ولكن قد لا نراهم جديرين بالاحترام.

المسألة تتعلق بشكل رئيس بمقدار الصدق والانسجام بين (المبدأ) و (التطبيق).. فعلى الرغم من أن رجلاً كنيلسون مانديلا نختلف معه في دينه، وربما في كثيرٍ من مبادئه وقيمه؛ إلّا أنه رجل يستحق الاحترام؛ لأنه ضحّى من أجل مبادئه، وكان مثالاً للانسجام بين (المبدأ) و (التطبيق).. وفي الوقت ذاته قد لا نحترم رجلاً نتفق معه في مُعظم أفكاره، ولكننا نراه انتهازيّاً ومهموماً بالبحث عن مصالحه، ومُستعداً للتضحية بمبادئه وبيعها عند أول (عرض) للشراء!

وقبل أن أتحدث عن الليبرالية السعودية؛ أشير فقط إلى أن التعميم الموجود في عنوان المقال هو من قبيل التجوّز الصحفي، وإلّا فحديثي دون شك هو عن الغالبيّة لا عن الكل، أو بشكل أدقّ عن الصوت الطاغي في الوسط الليبرالي السعودي؛ الذي ينشط في الإعلام والمواقع النتيّة.. وليس عن الجميع بالطبع.. بل لا بد من الإشارة إلى أن هناك أصواتاً ليبرالية مُحترمة ونزيهة ومُنسجمة مع أصولها النظريّة، قد يختلف أحدنا معها في موضوعات، ويتفق في أخرى، ولكننا لا نملك لها سوى الاحترام.

مشكلة الليبرالية السعودية -في غالبها- أنها باتت كالحزب الشيوعي الذي قرر أن ينضمَّ لمُنظمة التجارة العالمية مقابل استلامه لحفنة دولارات! وكمناضلٍ في حقوق الإنسان قرر أن يعمل ناطقاً رسميّاً لجهاز الأمن السياسي! وكالإسلامي الذي صار يُدافع عن الغزو الأجنبي لبلاده من أجل أن يحصل

على فيزة دخول لأمريكا!

الفلسفة الليبرالية باعتبارها تتكئ أساساً على قيمة (الحرية) تشكلت ابتداءً في القرن السابع عشر في إطار برجوازي رأسمالي، يقوم على مبدأ حرية السوق ومحاربة الإقطاع، وقد نظّر لها بعد ذلك آدم سميث في أواسط القرن الثامن عشر بكتابه «ثروة الأمم»، وردّد فيه الشعار الشهير (دعْهُ يعمل، دعْهُ يمر).. وأخذت الفكرة الليبرالية زخماً كبيراً في إطار الفكر السياسي -من قبل سميث- على يد جون لوك، ومنتسكيو، وجان جاك روسو، وآخرين.

وكانت فلسفتها ترتكز على نقض الاستبداد والتفرد بالحكم، ورفض هيمنة السلطة الدينيّة الثيوقراطية، وضرورة المُشاركة الشعبيّة في القرار السياسي على أساس العقد الاجتماعي، والدستور، وفصل السلطات، وإعادة إنتاج النظام البرلماني الديمقراطي التمثيلي بعد تطويره من الصورة الإغريقيّة القديمة.. وسوى ذلك.

أما وأنها لم تكن معنيّة بتأسيس معايير نظرية للحرية الأخلاقية، بل هي لمحقل (الليبرالية الأخلاقية)؛ فكان أضعف حلقات وآخر تمظهرات الفكرة الليبرالية الغربيّة، بل إن بعض الباحثين يرى أن المبحث الأخلاقي غير حاضر في تكوين الفكرة الليبرالية تتجاوز الانسجام مع مستوى الحرية الأخلاقية المُتاح في المُجتمعات الغربيّة، وهي مساحة تشترك فيها الليبرالية مع عددٍ من الفلسفات والمدارس الفكرية التي نشأت في مرحلة ما بعد عصر النهضة (عقلانية عصر الأنوار، ثم العصر الرومانطيقي، وحديثاً المدرسة الوجوديّة والتيارات العدميّة، وسواهم)؛ لذلك يقع موضوع الحُريّة الأخلاقية -في أحسن الأحوال- على هامش الفلسفة الليبرالية؛ وليس في متنها.

وإذا كانت (الحريَّات السياسيَّة) هي المرتكز الأهم والشريان الرئيس في (النظريَّة الليبرالية)؛ فإن مشكلة الصوت الطاغي في الليبرالية السعودية أنه غير معنيٍّ تماماً بهذا الموضوع، ولا تكاد تجد في ثناياه من يتبنّى الدعوة إلى إقامة نظام سياسي وفق الهيكليّة الليبرالية، بل هو أحياناً يُكرِّس الاستبداد والظلم والتفرّد في الحكم؛ حتى باتت الليبرالية السعودية مجرد دعوة إلى (التحرر الأخلاقي) ليس إلا! وأنها مهمومة فقط بمُناكفة التيار الإسلامي في قضايا الحريات الأخلاقية والسلوكية؛ التي هي (بمقاييس الفلسفة الليبرالية) في آخر سُلّم الأولويات!

التيار الليبرالي السعودي -في غالبيته- يسترخي بأمانٍ داخل مِعطف السلطة، ومن موقعه ذاك يمارس كل المُوبقات المُناقضة للفكرة الليبرالية! فهو يدافع عن الظلم والاستبداد السياسي، ويُمارس التحريض الأمني ضد خصومه الإسلاميين، ويقف ضد حرية التعبير إذا كانت في غير صالحه، وتجد أن أفراداً من هذا التيار مُستعدون لأن يعزفوا أسبوعاً على وتر خطأ بسيط لهيئة الأمر بالمعروف، أو لأجل كلمة عابرة قالها أحد دعاة الصحوة، وفي ذات الوقت هم غير مُستعدين لكتابة مقال واحد -في أي موقع إلكتروني مفتوح- عن المُعتقلين السياسيين، أو عن صفقات المال المُهدرة، أو عن حق الشعب في المشاركة بالقرار السياسي.. لذلك غدت الصورة الذهنية لليبرالية السعودية أنها مجرد دعوة لتجاوز القيم الأخلاقية في المجتمع.

بل غدا حتى الموقف من التيار الديني عند بعض الليبراليين مُرتبطاً بأجندة السلطة؛ لذا يقوم هؤلاء البعض بالدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في ذات الوقت الذي يتهمون فيه حركة الإخوان المسلمين بالتطرف والغلوّ! (أيّاً كان الموقع الفكري للشخص؛ فلا أظنه يسوغ إنكار حقيقة أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي أكثر مُحافظة وأبعد عن «الليبرالية» من حركة الإخوان المسلمين!).

وفي المُقابل؛ نجد أن المجموعة المُطالبة بالإصلاح الدستوري؛ والتي تتبنى الدعوة للمشاركة الشعبية في القرار السياسي، وإجراء انتخابات، وفصل السلطات، وسوى ذلك -وكلها مطالب من صميم الرؤية الليبرالية-؛ تضم في قائمتها أشخاصاً من غالب التباينات الفكرية المحليّة (الإسلاميين،

القوميين، اليساريين)، ولكنك لن تجد في ثناياها أشخاصاً محسوبين على التيار الليبرالي!

فضلاً عن أن هذا التيار الذي ظل يدعو إلى الانفتاح على الثقافة الغربية لم يُصدر من جانبه أي إنتاجات رصينة في الفكر أو في الفلسفة أو في علوم الاجتماع، أو حتى في رؤيته للفكر الديني؛ يستطيع من خلالها أن يطرح رؤيته بشكل تفصيلي.

وإذا كان كثير من رموز التيار السلفي المُحافظ يتفقون مع كثير من رموز التيار الليبرالي في الدعوة إلى الطاعة المُطلقة للسلطة، والسكوت عن الأخطاء والمظالم؛ إلّا أن الفرق الجوهري بين الطرفين يكمن في أن السلفيين مُنسجمون مع تراثهم وأدبياتهم؛ فهم لم يقولوا يوماً أنهم دعاة تحرر ومشاركة شعبية في القرار السياسي، بل إن أدبياتهم تحثهم على الطاعة والولاء؛ لذا تغدو المشكلة مع هؤلاء مشكلة ثقافية محضة.

لكن في المقابل؛ فإن التيار الليبرالي يفعل عمليّاً كل ما يُناقض أصوله النظرية؛ حتى بات من أشد خصوم فكرة البدء بتطبيق بعض المُمارسات الديموقراطية في المجتمع؛ وذلك خشية من فوز الإسلاميين.. وهنا تكمن المُفارقة الأخلاقية!

وبعد كل ذلك.. هل ثمّة مُسوّغ يدعو لاحترام ظاهرة الليبرالية السعودية؟!

الصوفيون الجدد في مصر.. سندان التحديث، ومطرقة التكنولوجيا

مصطفى زهران، «موقع الإسلاميون»، ١٤/ ٠٨/ ٢٠١٠

على الرغم من حالة الجمود التي اتسمت بها الطرق الصوفية في مصر خلال العقود الماضية؛ إلا أن هذا الجمود يتعرض للتلاشي أمام موجة التغيير التي تشهدها كافة التيارات الإسلامية؛ والتي ساهمت في إيجادها ثورة المعلومات والاتصالات، فلم تعد الطرق الصوفية على تلك الصورة النمطية والتقليدية التي اعتاد الناس على رؤيتها ومعايشتها، كما أن صورة الصوفي المجذوب والرجل الذي يرتدي الخشن من الثياب، والهائمون على وجوههم في الطرقات؛ أصبحت موجودة فقط في الموروث الفلكلوري والصوفي.

ففي خضم التغيرات الاجتماعية والسياسية وما لحقها من تقدم تقني وتكنولوجي؛ وجدت الصوفية في مصر نفسها فجأة بين سندان التحديث ومطرقة الثورة التقنية المتسارعة، وبالفعل استجابت الطرق الصوفية لمتغيرات الواقع، ولكن هذه الاستجابة جاءت متأخرة عن تيارات إسلامية أخرى؛ كالإخوان المسلمين، أو التيار السلفي؛ التي نجحت في استغلال بوابة الإعلام في الترويج لأفكارها.

صوفيون تقنيون!

تمثلت مظاهر تلك التغيرات التي طرأت على الطرق الصوفية في عدد من المواقع الإلكترونية، وإذاعات الإنترنت، هذه بخلاف نشاط المتصوفة على «الفيس بوك»، والمنتديات الصوفية عبر الإنترنت، والمشاركة في المؤتمرات في الدولة الغربية، والتي ساهمت في تدشين حالة من النقاش والجدل حول واقع الطرق الصوفية، والتحديات التي تواجهها، لا سيما أن هذا الجدل ترافق مع الحالة من الطلب الخارجي على الصوفية والتصوف كأحد أوجه الإسلام المعتدل، في مواجهة ما بات يعرف بـ «التطرف الإسلامي»، وهذه التغيرات تعكس في مجملها الانتقال من الشكل التقليدي والنمطي للطرق الصوفية إلى شكل جديد أكثر انفتاحاً على المجتمع والتيارات الأخرى.

«**صوفي جيجز**» **أو** «**صوفي تقني**» هي إحدى الأشكال الحديثة التي اختلقها المريدين داخل الطرق الصوفية في مصر، والفكرة التي جمعت أجيال شابة تنتمي بشكل عام للطرق الصوفية ما بين خاتمية ميرغنية وأخرى نقشبندية وجازولية... إلخ، نستطيع تعريفها بأنها تجمع للمتصوفة الذين يعملون في مجال التقنيات وعالم الشبكة العنكبوتية من مختلف الطرق؛ بهدف التواصل بين أبناء الطرق المختلفة، وهي فكرة حديثة تستلهم من ثورة الاتصالات شكلها الجديد، وتعمل على توحيد الصف الصوفي، ولا زالت هذه الفكرة في طور المخاض ولا زالت تحاول تجميع القلوب والعقول في بوتقة

واحده، وهي تمثل إحدى تجليات حالة التغير التي يمارسها التيار الجديد داخل الطرق الصوفية.

مواقع إلكترونية:

ومن بين الطرق التي دشنت مواقع إلكترونية كانت الطريقة الجازوالية، أحد روافد الطريقة الشاذلية العتيدة؛ الذي أسسها الشيخ حسن الشاذلي، والطريقة العزمية وغيرها.

ويقول «صبحي الحجار الجازولي» -مسئول الموقع الإلكتروني للطريقة الجازولية الشاذلية- في لقاء مع موقع «بوابة الطرق الصوفية والحركات الإسلامية»: «إن الطريقة الجازولية الشاذلية منذ ما يقرب من نصف قرن وطبقاً للقواعد التنظيمة التي وضعت منذ الأيام الأول سعت جاهدة لأن تحدث نفسها، وتقدم ما يميزها عن الطرق الصوفية الأخرى الموجودة في مصر، وكانت تلك الأفكار بمثابة القاعدة الرئيسة التي انطلقنا منها».

مؤكداً على أن الطريقة الجازولية تقدم تصوف حديث وغير تقليدي؛ من خلال انطلاقة الموقع الإلكتروني الخاص بالطريقة؛ والذي يعد الأداة التعريفية الهامة للطريقة، والنافذة التي يطل عليها كل مهتم ومحب للطريقة؛ سواء في داخل مصر أو خارجها.

وفي رأي «الحجار الجازولي» فإن أية طريقة صوفية في اللحظة الراهنة ستعود للوراء وتندثر إن لم تأخذ بأساليب العصر؛ ولهذا السبب يقول: «لذلك حملنا شعاراً في المرحلة الآنية «التقدم نحو الأمام»، وهي بغية كل واحد منا، وثمرة ذلك -على رغم حداثة تاريخ إنشاء الطريقة- انتماء واحتواء الآلاف من المريدين من كافة أنحاء العالم، بحيث وصل عدد زوار الموقع بشكل يومي إلى ٣٠ ألف وستمائة زائر، وفق آلية حديثة تقوم بتسجيل الزوار، وفقاً للتصفح الغير معتاد عليه في المواقع الأخرى.

التواصل الصوفي:

ومن الجازولية الشاذلية إلى الطريقة الخاتمية الميرغنية؛ حيث تسعى الطريقة الخاتمية إلى أن تسجل حضوراً قويّاً وهامّاً وسط ذلك الزخم الإلكتروني، ويقول السيد أحمد الميرغني: «إن فكرة انطلاقة الموقع جاءت خصيصاً للتركيز على فكرة التواصل مع الطرق الأخرى، بالتوازي مع التواجد الفعلي للطريقة عبر الفضاء الإلكتروني؛ وذلك من خلال عرض «ويكيبيديا» للطرق الصوفية المختلفة، تهدف إلى التعريف بوضع التصوف وطرقه ليس في مصر وحدها، وإنما في العالم أجمع؛ بحيث يظهر الشكل المضيء للصوفية، وفي ذات الوقت الرد على التيارات الأخرى التي تقدم نفسها كأنها المنقذ للبشرية، والنموذج الأوحد للإسلام، وهذا يتم بالتوازي مع أن التصوف بشكل عام، والطريقة بشكل خاص لا تقدم نفسها كونها إسلاماً آخر، أو منحى مذهبي مختلف، وإنما هي روح الإسلام».

ويقول المهندس أحمد كاظم -أحد مريدي الطريقة، والمسئول التقني عن الموقع الخاص بالطريقة الميرغنية الخاتمية-: «إن جيلاً جديداً بات ينتمي إلى الطرق الصوفية، يحمل بين جوانبه هدفاً وحلماً يحاول تحقيقه من خلال تطويع تلك التقنيات التي أصبحت متوافرة، وهو عرض التصوف بشكله الصحيح دون شوائب».

مشيراً إلى أن التصوف الآن بجانب كونه يخاطب الروح والقلب؛ فهو يخاطب العقل -أيضاً-؛ لذلك فإن الفترة الحالية تتطلب توظيف المعني القلبي والعرفاني بصورة حداثية أكبر.

وبشكل مختصر يوضح كاظم «كيف يمكن توصيل علم ينقل من قلب إلى قلب بشكل حداثي وبصورة تكنولوجية تواكب ما يحدث الآن على الصعيد العالمي»، ونخلصه من الصور الفلكلورية الغريبة عنه؛ والتي نشئت بتداول الأيام وتعاقبها، لنقدم تصوفاً راقيّاً، مبنيّاً على أسس علمية متبرئ من الخزعبلات، وبعيداً عن صور المجاذيب التي علقت به ولا تمت إلى الصوفية بصله، ومن هنا كان الموقع وكانت البداية نحو الصعود إلى أعلى.

إذاعة إلكترونية:

كانت تجربة الإذاعة الإلكترونية إحدى الوسائل

الجديدة التي تقوم الطريقة الجازولية الشاذلية ببثها عبر موقعها الإلكتروني، هذا في الوقت الذي تندر فيه الإذاعات الدينية عبر الإنترنت، وهذه الإذاعة الصوفية تعكس بدورها الصورة الجديدة لتطويع الوسائل الإعلامية الجديدة لخدمة الطرق الصوفية والتصوف بوجه عام.

وأكد القائمون على إذاعة الجازولية الشاذلية على أنها لن تقتصر على تقديم تراث الشيخ المؤسس، أو الشيخ الحالي، أو تلك المدائح النبوية، وحفلات مجالس الذكر، وحضرات وطقوس مختلفة يمكن بثها إذاعيّاً وحسب؛ وإنما سيتم طرح خطّاً ساخناً بين القائمين على الإذاعة وبين كل متصفح وراغب في فهم ومعرفة كل ما يدور داخل الطريقة، والانتقال لتناول القضايا والمشاكل الاجتماعية، وكل ما يواجه المريد والمسلم بوجه عام في حياته اليومية.

كان من نتيجة هذا الزخم الإلكتروني الصوفي: أن أصبحت هذه المواقع والإذاعات بمثابة البوابة الرئيسة للطرق الصوفية وأداتها الإعلامية؛ خاصة في ظل تصاعد ما بات يسمى بـ «الغزو الشيعي الفكري» للمنطقة العربية، وتوجيه أصابع الاتهام بشكل مباشر ودائم للطرق الصوفية، وتمثيلها على أنها قنطرة العبور للتشيع أو «بوابة التشيع» في مصر.

ورداً على هذه الاتهامات أفرد موقع الخاتمية الشاذلية رسالة كبيرة لأحد مشايخ الطريقة حملت عنوان: «القول الصارم في كلام الروافض»، يفند فيها كثير من أباطيل الشيعة الروافض، وينتقد أقاويلهم بالحجج والبراهين العلمية».

قضايا فكرية:

كما أن الشيخ أنور عبد المغيث -شيخ «الطريقة النقشبندية»؛ وهي طريقة غير معترف بها من قبل مجلس الطرق الصوفية في مصر؛ إلا أنها رغم ذلك تعمل تحت اسم «جمعية الغوثية» - كان له رسائل فكرية تتعاطى بشكل إيجابي كبير مع قضية المفكر الراحل «نصر حامد أبو زيد»، والتي أعرب عنها عبر مجلس من مجالسه التي كان لموقع «الإسلاميون» حضوراً خلالها، الأمر يعكس توجها ليبراليّاً غير متعارف عليه قبل ذلك داخل صفوف الطرق الصوفية، وابتعاداً عن التكفير والتبديع والتفسيق للمسلمين، خاصة وأن الشيخ كان على اتصال دائم بالمفكر الراحل نصر حامد أبو زيد - على حد قوله -.

وقد ضعت الطريقة الجازولية الشاذلية عبر موقعها الإلكتروني منتدىً خاص لأبناء الطريقة، ومن ينتمون خارجها لمناقشة مثل هذه القضايا الفكرية؛ خاصة تلك التي تتعلق بقضايا التحليل والتحريم، فعلي سبيل المثال لا الحصر: قضية (تحريم النحت) من قبل بعض التيارات الإسلامية الأخرى الموجودة على الساحة، وجدت مساحة كبيره عبر الموقع ومن خلال المنتدى، وفي ذلك يقول «صبحى الحجار» -مسئول موقع الجازولي الإلكتروني-: «إن هناك تياراً دينيّاً داخل مصر وافداً من خارجها يسعى لتحريم كل شيء في المجتمع، ومن هذه العلامات: تحريم النحت والفن بوجه عام» -على حد قوله-.

ويشير الحجار إلى أن الفتوى بتحليل النحت التي أصدرها المجلس الأعلى للفتوى في مصر والصادرة عن الأزهر الشريف كانت واحدة من الملفات الفكرية الهامة التي طرحت داخل الطريقة وعبر موقعها، ووجدت سجالاً فكريّاً قويّاً، عكس حجم الحراك الفكري والثقافي، ليس داخل الجماعة فيما بينها وحسب وإنما بين الطريقة، ومن ينتمون إلى ما سواها.

وتعقيباً على هذا التغير الذي تمر به الطرق الصوفية يرى د. عمار على حسن -الخبير في شئون الصوفية- أنه كان من الطبيعي أن تستفيد الطرق الصوفية بهذا الكم الهائل مما أنتجته الثورة التكنولوجية العالمية، وتجعلها طوعاً لها، وهو جهد قامت به الأجيال الشابة، ويضاف لها من أبناء تلك الطرق.

ويقول د. عمار لموقع «الإسلاميون»: «التصوف الآن على أبواب مرحلة جديدة شكلتها ثورة الاتصالات؛ والتي أخذ الجيل الجديد من أبناء الطرق الصوفية على عاتقه مهمة

التعاطي بشكل جاد مع هذه الثورة؛ خاصة وأنه بصدد التعامل مع ظاهرة يمكن القول أنها عاشت على مدار عقود من الزمن تقليدية في الشكل والجوهر، الأمر الذي جعل تلك الطرق بين أمرين وخيارين؛ إما التراجع والتقهقر للوراء، والانكفاء على الذات! وإما الحداثة؛ وهي اختارت الأمر الثاني، ألا وهي: الحداثة».

مدد يا رسول الله!

كان من تجليات التغيير الذي تمر به الطر الصوفية: ظهور عمل فني صوفي على منوال المدائح النبوية القديمة، تمثل في أغنية «مدد يا رسول الله!»؛ التي غناها المطرب النوبي المصري محمد منير، عبر التنسيق مع الطريقة الميرغنية الخاتمية -أحد أشهر الطرق الصوفية في مصر-، وحققت الأغنية شعبية كبيرة داخل كافة الأوساط الصوفية وغير الصوفية، وقد عكست الأغنية مدى اهتمام الصوفية بالفن كرسالة سلام، وكجسر للحوار مع الآخر؛ حيث مزجت كلمات الأغنية بين التراث الإسلامي والمسيحي في آن!

ويقول السيد «أحمد محمد عثمان الميرغني الختم» - ابن شيخ الطريقة الميرغنية الخاتمية في مصر، والمشرف العام على الطريقة- لـ «بوابة الطرق الصوفية والحركات الإسلامية»: «إن فكره القفز فوق الحواجز، والدفع بالطريقة الختمية الميرغنية للحاق بركب التحديث كان من خلال الاستفادة من المتغيرات المتجددة على الساحة العالمية؛ من تقدم تقني وتكنولوجي، شمل مستويات كبيرة على رأسها الجانب الفني، وذلك نظراً لأن لغة الفن هي لغة عالمية يفهمها الجميع دون حواجز».

ويضيف الميرغني: «هناك أشعار وخواطر يتم تداولها في «الحضرات» ومجالس الذكر، ولا يعلمها إلا أبناء الطريقة ذاتها، ومن هذه الأشعار كانت كلمات الأغنية، وبدأت الفكرة من خلال تحويل هذا الفلكلور والتراث الشعبي من أوراد وأشعار الشيخ / ؛ التي ذكرها في مجالس خاصة وفي أوقات بعينها إلى عمل فني، يتداوله الناس أجمعين؛ باختلاف ألوانهم وأشكالهم وانتماءاتهم ومذاهبهم..

والحمد لله لاقى هذا العمل ترحيب كبير، وحقق شعبية غير عادية ليست في مصر وحدها بل خارجها، وكان ذلك في عام ٢٠٠٢، أي منذ ما يقارب ثمانية أعوام كاملة».

ويؤكد السيد الميرغني في لقائه بالموقع على أن «هذا الإصدار الفني صاغ تراث الشيخ -مؤسس الطريقة «الإمام الميرغني»- بأحدث النظم التقنية على لسان مطرب صاحب شهرة عالمية، وهذا ما دفع بإذاعة ألمانيا الاتحادية إلى القيام بعقد عدة لقاءات مع شيخ الطريقة الحالي «السيد محمد عثمان تاج السر إسماعيل محمد أبو بكر الميرغني» وأبنائه لسان حال الطريقة لفترة تجاوزت الأربعة ساعات متواصلة تناول تأثير الشريط بوصفه يمثل فلكلوراً دينيّاً ممزوجاً بلغة العصر على النطاق الأوروبي»؛.

وحسب قول الميرغني؛ فقد تفاجأ كلا الفنان المصري محمد منير، وشيخ الطريقة وأبنائه بإذاعة اللقاء بأربعة لغات أوروبية، ولا شك في أن هذه التجربة تعكس مدى الاهتمام الغربي بالصوفية، بجانب كونها تعبر عن مدى التطور الذي لحق بالطرق، وأهمية إخضاع الوسائل العصرية لخدمة الطرق الصوفية ورسالتها الدعوية والحضارية.

أكاديمية التصوف:

في تجربة مميزة تهدف إلى وضع التصوف في قالب تعليمي أكثر تهذيباً لتكريس وتعميق أدوات البحث العلمي في هذا الحقل وتقويض أشكال.

الخرافات التي علقت بالتصوف وطرقه شرعت «العشيرة المحمدية الشاذلية» في قلب القاهرة لإنشاء أكاديمية لدراسة التصوف، وهذه الأكاديمية تعني بمناهج التصوف، ومدارسه، وأطر تفكيره وتسعى لخلق جيل جديد من الصوفية يعزز دور العقل توازياً مع الروح؛ لفهم التصوف كطريق لفهم الإسلام.

وترجع فكرة تأسيس أكاديمية بالمعنى الحديث إلى الشيخ الراحل السيد «محمد زكي إبراهيم» -شيخ طريقة

«العشيرة المحمدية الشاذلية» -، ويقوم الآن بالإشراف العام على الطريقة «المرشد العام للطريقة» والأكاديمية الدكتور محمد مهنا -أستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر-؛ والذي يقول في لقاءه بموقع «الإسلاميون»: «إن أكاديمية دراسة التصوف جاء ميلادها في وقت لا يزال فيه التصوف الرسمي يعاني من أغلال الكثير من الانحرافات التي هي ملأ السمع والبصر؛ لذلك كان لزاماً على المستوى الغير رسمي أن يخرج من إسار هذا الرسمي ليقدم رؤية جديدة عبر العشيرة المحمدية؛ بحيث تسهم في الانتقال بالصوفية من حالة الجمود إلى الحراك والمشاركة الاجتماعية والعلمية».

ويتجلى هذا برأي د. مهنا في نوعية المريدين والمنتمين للطريقة ذاتها؛ من كونهم ينتمون إلى أرقى الطبقات الثقافة والاجتماعية والفكرية المختلفة، أو السعي لإنشاء مراكز بحثية تعي بالتصوف على منوال أكاديمية التصوف داخل العشيرة؛ والتي تستعد بانطلاقة جديدة تتمثل في دراسة التصوف بلغات عدة؛ لتؤكد على عالمية الإسلام والتصوف.

ويشدد مهنا على ضرورة أن يأخذ التصوف الرسمي على عاتقه مهمة الدفع بنفسه نحو الأمام، والنهوض بصورته الحالية ليتماس مع سابق عهده؛ وتحديداً برؤية السلف ﷺ -على حد وصفه-.

الغرب والتصوف:

ويذكر د. محمد مهنا -المرشد العام للعشيرة المحمدية الشاذلية بالقاهرة- أنه تلقى تعليمه الصوفي وتربيته الصوفية على يد تلامذة العلامة الفرنسي الصوفي «رينية جينون»، أو العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى، وذلك إبان رحلته العلمية في فرنسا.

فهذا الرجل -كما يقول مهنا-: «ساهم بشكل كبير في تقديم رؤية صوفية معاصرة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وربما لا يعلم عن جهوده في خدمة التصوف سوى قلة داخل مصر».

ويرى مهنى أن الفضل في ما تقوم به «العشيرة المحمدية» للنهوض بالتصوف على أسس علمية يعود لتعاليم الإمام المؤسس للعشيرة محمد زكي إبراهيم؛ الذي وقف بكل ما أوتي من قوة ضد الخزعبلات والأشكال الغير لائقة، والتي لصقت بالتصوف؛ سواء أكان ذلك شكليّاً بصورة واضحة، أو فكريّاً بشكل مستتر داخل الكتب والمصادر المختلفة، وعلى هذا الطريق الذي رسمه الشيخ سار أتباع العشيرة من بعده.

وعن حوار العشيرة ومشاركتها في المؤتمرات بالدول الغربية، يقول مهنا: «نحن نحاول عبر المؤتمرات أن نقيم حوار مع المنتمين وعشاق الصوفية في الغرب؛ خاصة إن هؤلاء باتوا يشكلون جزءاً هامّاً في تشكيل وعي وفهم وانتماءات الكثيرين من محبي التصوف في الغرب، وبعض المسلمين الجدد هناك؛ الأمر الذي حدا بالمؤسسات السياسية هناك للاستعانة بتلك الكوادر الذائعة الصيت لخلق حالات من التوازن، وإضفاء معطيات روحية على المدنية الحديثة في الغرب؛ من خلال التصوف -على حد وصفه-.

موجة التحديث الفكري:

«إننا على أبواب تقدم نوعي في أداء الطرق الصوفية»... هكذا يتحدث د. عمار علي حسن صاحب «كتاب الصوفية والسياسة في مصر» لـ «بوابة الطرق الصوفية والحركات الإسلامية»، قائلاً: «قديما كانت الصورة النمطية التي تبدوا عليها الطرق هي: الانقطاع عن الحياة للعبادة، والاجتهاد في أشكال الزهد، فكانت بشكل عام وبصورة خاصة علاقة جوانية فردانية؛ من خلال الانكفاء على الذات، والهجرة من العالم الدنيوي، والارتحال نحو الملكوت السماوي».

هذا التحول -برأي عمار- جعلها تنتقل إلى المؤسسة الاجتماعية؛ وذلك حينما نزلت إلى المجتمع واختلطت به؛ أصبح الدين فيها وسيلة اجتماعية تتأثر بالزخم الذي حولها بكل ألوانه وأشكاله؛ مما جعله يتأثر بالفنون السائدة في هذا المجتمع.

يقول د. عمار علي حسن: «إن الطرق الصوفية في العقد الأخير وبشكل عام ومن خلال جهد جهيد وهيكلة تنظيمية لم تعرف من قبل أخذت التصوف كاتجاه ديني فلسفي روحاني في الوقت ذاته، وأنزلته إلى عالم الواقع، وحينما أنزلته إلى عالم الواقع كان من الطبيعي أن يتأثر بكل ما يحويه هذا الواقع ويؤثر فيه -أيضاً-؛ من طقوس، وقيم، واتجاهات سياسية واجتماعية شتى، وما تعتري تلك الضروب من مشكلات وعوائق، شأنها في ذلك شأن بقية التيارات الأخرى».

ويؤكد عمار على أن الطرق الصوفية في اللحظة الراهنة لا يمكن النظر إليها دون النظر في السياق العام المؤثر فيها، ويحاول عمار بذلك أن يرسل رسالة مفادها أن هذا السياق الذي يؤسس في الطرق الصوفية كاتجاه ديني بطبيعة الحال وبشكل عفوي يؤثر نفسه في الحركات التي يطلق عليها بـ «حركات التغيير السياسي»، أو تلك «المسيسة».

ويدلل عمار على ذلك بقوله: «إن الظروف المحيطة بحركة كفاية والجبهة الوطنية للتغير التي يقودها البرادعي تشبه الظروف المحيطة بالطرق الصوفية داخل مصر...» .

ويضيف: درجة استجابة هذا يختلف عن ذاك -أي: الطرق الصوفية عن التيارات السياسية الأخرى-؛ على الرغم من أن السياق متشابه وأحادي في كلا التيارين، ومن ثم فان التطورات الحادثة والتجديدات التي لا تتوقف من الطبيعي أن تؤثر في الطرق الصوفية بأشكالها المختلفة والمتعددة.

إخفاق الإخوان والسلفيين في انتخابات البحرين

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]!!

عبد الفتاح البتول، «نشوان نيوز»، ٢٠١٠/١٠/٢٧

لم يكن فوز حركة الوفاق الشيعية في الانتخابات التي جرت السبت الماضي في مملكة البحرين مفاجئاً؛ فقد كانت كل الدلائل والمؤشرات تؤكد فوز الشيعة في كل الدوائر التي ترشحوا فيها.

إنما المفاجأة كانت في سقوط وإخفاق مرشحي الإخوان المسلمين والسلفيين في الدوائر التي شاركوا فيها «متنافسين ومتقاطعين»، عكس الانتخابات السابقة؛ والتي نزل فيها الإخوان «جمعية المنبر» والسلفيون «جمعية الأصالة» متحالفين ومتعاونين، وأدى ذلك التحالف والتعاون إلى فوزهم في كل الدوائر التي شاركوا فيها، وحصل الإخوان على ٧ مقاعد، والسلفيين على ٨ مقاعد، في انتخابات ٢٠٠٦م.

الأمر هذه المرة مختلف ومؤسف! فقد فشل الإسلاميون السنة بالمحافظة على الحد الأدنى من التحالف الانتخابي والتعاون السياسي في مواجهة التحديات والأخطار الشيعية والشيوعية والليبرالية، ولم يتوقف الأمر عند فض التحالف بين المنبر الإخواني والأصالة السلفية، بل وصل الأمر إلى الاختلاف والصراع والتنافس الشديد والتقاطع والتدابر؛ مما أدى إلى هذه النتيجة السيئة والمخزية!!

السلفيون نزلوا في ٨ دوائر، فازوا في دائرتين، وخسروا دائرتين، والدوائر الأربع الأخرى لم تحسم فيها النتائج في الجولة الأولى، وسوف يخوضون منافسة شديدة في الجولة الثانية لإعادة الانتخابات يوم السبت القادم ٣٠ / أكتوبر / ٢٠١٠م.

وبالنسبة للإخوان؛ فقد نزلوا في ٧ دوائر، خسروا في ثلاث منها، وفي الأربع الدوائر المتبقية انتقلوا إلى جولة الإعادة التي ستشهد تنافساً شديداً بين المرشحين، بما في ذلك التنافس بين مرشحي المنبر والأصالة؛ وخاصة في الدائرة الثالثة في محافظة المحرق؛حيث يتواجه في هذه الدائرة «إبراهيم صندل» من جمعية الأصالة السلفية مع «عبد الحميد الميرمن» من جمعية المنبر الإخوانية.

ومن علامات الإخفاق والفشل السني في هذه الانتخابات: أن رئيس جمعية الأصالة «غانم أبو العينين» لم يفز في الجولة الأولى، وسوف يخوض جولة الإعادة في منافسة شديدة مع المرشح المستقل «عبد الناصر عبد الله»، وفي حال استطاع مرشحو الأصالة والمنبر الفوز في دوائر

الإعادة؛ فإن المسألة تهون، ومن الممكن تقبل النتائج لدى الشارع السني والمتابع العربي، أما إذا حدث لا سمح الله وسقط مرشحو الإخوان والسلفيين في جولة الإعادة أمام المرشحين المستقلين والليبراليين؛ فإن الخطب جليل، والأمر كبير، والخلل جسيم؛ يتطلب إعادة النظر في الجوانب الحركية والتنظيمية والإدارية والدعوية والسياسية لجمعيتي الأصالة والمنبر.

صحيح قد يكون للعامل الخارجي والتآمر الشيعي دور ويد فيما حدث، ولكن الصحيح أن الأسباب داخلية، والعوامل ذاتية.. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]؛ وخاصة أن العديد من العلماء والمفكرين والدعاة سبق لهم تقديم النصيحة لقيادات الإخوان المسلمين والسلفيين بضرورة وجوب توحيد الصف، والوقوف في خندق واحد، وإيجاد أرضية راسخة للوقوف عليها، وحوارات ولقاءات مستمرة، وأن أهل السنة أولى بالوحدة ورص الصف من أهل الباطل.

والحديث لا يقتصر على البحرين، وإنما يشمل الإخوان والسلفيين في كل الدول العربية والإسلامية، وفي أوساط المهاجرين والمقيمين في الدول الغربية «في أوروبا وأميركا»، فإن الأوضاع والتطورات والأخطار والتحديات لم تعد تتحمل الخلافات التقليدية وغير المبررة بين جماعة الإخوان المسلمين والحركة السلفية المعتدلة والمنظمة.

لقد أصبح الخلاف والاختلاف بين هاتين الجماعتين أمراً مقرفاً، وغير مقبول، ولا مستساغ؛ وخاصة في المجال السياسي الذي يخضع للاجتهادات والموازنة بين المصالح والمفاسد، فإذا كانت هناك أسباب وعوامل تدفعنا في بعض الحالات إلى التحالف والتعاون والتنسيق مع الحركات والأحزاب القومية واليسارية والاشتراكية والشيعية؛ أفلا نجد عوامل وأسباباً لإقامة تحالفات وتجمعات وتكتلات إخوانية سلفية؟ ألا يوجد قاسم مشترك يمكن أن يجمع الإخوان والسلفيين على مستوى التنسيق السياسي والانتخابي والتعاون الدعوي والثقافي؟ كيف يصح أن ندعو للتقريب بين السنة والشيعة، ونحن جميعاً لم نقرب بين السنة والسنة؟!

وأنا هنا لا أتهم طرفاً على طرف، ولا أقول ببراءة أي من الفريقين، فالكل يتحمل مسؤولية الخلاف والشقاق الذي لا مبرر له ولا فائدة منه، وهذا الكلام ليس تنظراً وفلسفة؛ وإنما واقعاً وحقائق؛ وخاصة أن كاتب هذه السطور قد عايش ويعايش ويعرف عن قرب الإخوان والسلفيين على حد سواء، ووجدت أن عوامل اللقاء والائتلاف أكثر بكثير من أسباب الفرقة والاختلاف.

أعرف أنني خرجت عن الموضوع الأساسي، وهو الحديث عن فوز حركة الوفاق الشيعية، والحقيقة أننا قد تحدثنا كثيراً عن الأقليات الشيعية، والمخططات الإيرانية؛ وخطرها على الشعوب والدول العربية، وحان الوقت للحديث عن أخطائنا وسلبياتنا نحن أهل السنة؛ خصوصاً وقد رأينا كيف قامت القنوات الشيعية؛ وخاصة قناة «المنار» و«العالم» و«الكوثر» بنصرة الشيعة في البحرين، واستهداف الحكومة والدولة وأهل السنة بصورة واضحة وعدائية.

هل كانت «صفا» ضحية التقارب المصري الإيراني؟

شريف عبد العزيز، «مفكرة الإسلام»، ٢٠١٠/١٠/١٨

شهدت المنطقة العربية في الآونة الأخيرة حراكاً سياسيّاً واستراتيجيّاً؛ على عدة أصعدة، وعلى مسارات كانت شبه منقطعة لفترة طويلة من الزمان، وكان من أهم هذه المسارات التي حدث فيه تغيراً ملحوظاً: التقارب الحادث بين مصر إيران، بما للدولتين من ثقل استراتيجي ومكانة إقليمية ونفوذ كبير في المنطقة، وكلاهما يمسك بالعديد من الملفات المتقاطعة، ويعلق بالقضايا المتوترة في المنطقة، وعلى الرغم من المسافة الكبيرة بين البلدين، والقطيعة التي استمرت لفترة طويلة؛ والتي بدأت تقريباً مع تغير النظام الحاكم في إيران ووصول حكم الملالي بقيادة الخميني، وهي القطيعة التي وضعت البلدين في المواجهة الباردة حيناً من الدهر؛ إلا أن التغير الحادث في الآونة الأخيرة كان لا بد له من تبرير

وتوضيح سياسي لموقف كلا البلدين، والقرابين المتبادلة بين البلدين في سبيل هذا التقارب، والأجندة المعلنة والخفية من هذا التقارب الذي استرعي بشدة أنظار المحللين والمراقبين في المنطقة وخارجها.

طوال الربع قرن الماضي كانت العلاقات المصرية - الإيرانية محكومة بعدة محددات، بعضها ثابت، والبعض الأخر متغير، فمنذ قيام الثورة الإيرانية والعلاقات المصرية - الإيرانية مقطوعة؛ بسبب استضافة مصر لشاه إيران، وتوقيع النظام المصري معاهدة سلام مع «إسرائيل»، بالإضافة للمساندة المصرية لنظام صدام حسين أثناء حربه الضروس ضد إيران.

ويُعد شارع خالد الإسلامبولي بطهران؛ والذي سُمي على اسم قاتل السادات، ومقبرة الشاة في القاهرة؛ خير مُعبر عن هذا الشقاق بين النظامين، ولم تتجاوز العلاقات بين البلدين أبداً حد الواجبات الدبلوماسية، مثل: مكالمات وبرقيات التهنئة والتعزية المتبادلة، والمحادثات المعدودة على أصابع اليد الواحدة؛ والتي لم تخرج بأي نتائج سوى أمل كل من الطرفين في تبادل العلاقات يوماً ما.

محددات الاستراتيجية المصرية تجاه إيران:

العلاقة بين مصر وإيران في نظر كثير من المحللين والمراقبين للأوضاع السياسية في منطقتنا العربية والإقليمية من قبيل الألغاز السياسية؛ التي تحتاج لتفسيرات ونظريات؛ خاصة تختلف عن غيرها من النظريات المتعارف عليها في السياسة والعلاقات الدولية، فهي علاقة كلما تقاربت تباعدت، وكلما أشرفت الملفات العالقة بين البلدين علي الطي والنسيان تفجرت توابع جديدة لقضايا قديمة أعادت العلاقة للمربع رقم صفر.

ومواقف مصر وإيران من القضايا العالقة بين البلدين مواقف شديد الصلابة، وتتسم بالسلبية العدائية؛ خاصة من جانب مصر؛ التي وقفت بقوة وصلابة تجاه التدخلات الإيرانية في لبنان وفلسطين، ووقفت في صف الدول الخليجية ضد إيران، وظلت العداوة والقطيعة تحكم العلاقة بين الدولتين؛ حتى بدأت الأمور تتغير تدريجيّاً شيئاً فشيئاً؛ حتى كان التقارب الأخير والمتمثل في دبلوماسية الطيران المتبادل، وهي دبلوماسية أمريكية الصنع، استخدمها الرئيس الأمريكي نيكسون مع الصين في أوائل السبعينياتن، وعرفت بسياسة «البنج البونج».

اللغز الذي قد يكون عصيّاً على الفهم تتضح معالمه وخيوطه بالبحث في محددات الاستراتيجية المصرية حيال إيران؛ والتي تقوم علي عدة نقاط أساسية:

النقطة الأولى: التقدير المصري لحجم ودور إيران الإقليمي، وإدراك صانع القرار المصري لإيران على أنها منافس إقليمي طموح، يقوم في سبيل تمكين نفوذه بالتحالف مع أي طرف، ثم ما يلبث أن ينقلب عليه لو كانت المصلحة في ذلك، وهذا الطموح التوسعي لإيران عادة ما يكون علي حساب القوي التقليدية في المنطقة، أي: يكون بالخصم من رصيد النفوذ المصري، على أساس أن مصر كانت اللاعب الأساسي في المنطقة لفترة طويلة من الوقت، وسواء كان هذا يتم بتدبير وفق خطة موضوعة سلفاً تنفذها الدولة الإيرانية، أو يقع بشكل عفوي أثناء حركة إيران لتعزيز دورها الإقليمي، ومصر تدرك جيداً أنه لا عفوية في الأداء الإيراني السياسي التوسعي في المنطقة.

النقطة الثانية: مكانة مصر وارتباطها بالمحور العربي؛ وهي المكانة التي تفرض علي مصر مواقف معينة تجاه الطرف الإيراني، وكلما أدت حركة إيران إقليميّاً إلى التأثير سلباً على المصالح العربية؛ كلما وجدت مصر نفسها مستنفرة ضد إيران، وهذه المسألة تعزى إلى «الصِّلات القوية» لمصر بدول المنطقة، والمستندة إلى أسس أيديولوجية وتاريخية وعاطفية، وأيضاً إلى روابط اقتصادية واستراتيجية أعمق وأوثق مع الدول العربية، لذلك دعمت مصر العراق في حربها ضد إيران، ودعمت البحرين ضد الأطماع الإيرانية فيها، كما وقفت بجوار الإمارات في قضية الجزر الثلاثة المتنازع عليها، ودعمت

اليمن في حربها ضد الحوثيين المرتبطين أيدلوجيّاً وتنظيماً مع إيران، ثم لا ننسى موقف مصر القوي تجاه حزب الله الشيعي في لبنان، وكلما دخلت دولة عربية في نزاع مع إيران؛ وجدت مصر نفسها أما اقتناعاً أو اضطراراً تقف في الصف المعارض لإيران.

النقطة الثالثة: قناعة مصر بأن مسألة التعامل مع ملف إيران النووي بالحسم العسكري، وتحجيم الدور الإيراني بالقوة سيعود على المنطقة بغاية الضرر، وسيؤدي لنتائج خطيرة؛ إذ ستوقظ إيران خلاياها النائمة، وتحرك طابورها المندس داخل كل دول المنطقة تقريباً، والممثل في الأقليات الشيعية والتي لا يكاد أن يخلو منها بلد في المنطقة، وذلك لضرب مصالح الدول التي شاركت في ضربها، مما سيخلق حالة من الفوضى والدمار والإرهاب، والذي سيدفع الضريبة الباهظة لهذا الحل العسكري هي دول المنطقة؛ خاصة المحسوبة منها فعليّاً على المعسكر الغربي.

ومن هذا الأساس رفض الرئيس المصري دعوة إسرائيل له بتكوين حلف عسكري ضد إيران، وهذا ما حدث خلال اجتماع الرئيس مبارك مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بشرم شيخ في ١١ مايو الماضي، فرغم أن زيارة نتنياهو كانت تهدف بالأساس لإقناع مصر بتشكيل جبهة موحدة ضد إيران؛ إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، حيث كشفت مصادر دبلوماسية مصرية مطلعة أن الرئيس مبارك أكد لنتنياهو أن أي تعاون أمني أو عسكري مع إسرائيل ضد إيران ليس وارداً؛ على الرغم من أن العلاقة بين القاهرة وطهران سيئة، ونقلت قناة «الجزيرة» عن تلك المصادر القول: «فيما يتعلق بالملف الإيراني ومحاولة إسرائيل تشكيل حلف يضم مصر والأردن؛ فقد رفض الرئيس مبارك هذا الطرح رفضا تماماً، وحتى قبل اجتماعه مع نتنياهو، كما أن تصريحاته بعد الاجتماع لم تتطرق لذلك، وركزت فقط على القضية الفلسطينية».

النقطة الرابعة: عدم غلق الباب نهائيّاً أمام رجوع العلاقات مع إيران، وإبقاء الباب مواربـاً أمام الإشارات الصادرة من الجانب الإيراني، بحيث لا تكون قطيعة تامة، ولا تطبيع كامل، بل يقدر الأمر بقدره، وحسب متغيرات الأوضاع الدولية والإقليمية.

وهذه النقطة تحديداً تعبر عن مخاوف مصر من التوسع الإقليمي لإيران، وتحولها للاعب أساسي في منظومة التأثير في المنطقة، بما قد يجعل طهران مركزاً للتفاعلات الإقليمية؛ لا سيما إن تمكنت من إبرام صفقة مع الولايات المتحدة تقوم على مقايضة عسكرة البرنامج النووي الإيراني باعتراف أمريكي بدور إقليمي كبير لطهران على حساب مصر، وهو ما بدأت بوادره في الظهور فعليّـاً في الاتفاق الإيراني - الأمريكي، على تولية المالكي رئاسة الحكومة العراقية وبالشروط الإيرانية، وإطلاق يد إيران في العراق وغيرها من دول المنطقة، فمصر تعلم يقيناً أن أمريكا على استعداد تام للتضحية بحلفائها في المنطقة؛ وعلى رأسهم مصر؛ من أجل تسيير مصالحها، وترسيخ وجودها، مما يجعل مصر على قناعة بإبقاء الباب مواربـاً أمام عودة العلاقات الإيرانية مرة أخرى؛ خشية الغدر الأمريكي والإسرائيلي، وسياسة قلب المجن التي تتبعها أمريكا على الدوام في تسيير أمورها ومصالحها.

مصر وإيران والود الحذر:

بوادر تحسن العلاقات بين مصر وإيران بدأت منذ أواخر العام الماضي، ففي ١٣ يوليو الماضي التقى وزيرا الخارجية المصري أبو الغيط والإيراني متكي وجهاً لوجه على هامش اجتماع وزراء خارجية دول عدم الانحياز بشرم الشيخ، وعقب اللقاء أكد المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية السفير حسام زكى أن هذا النوع من اللقاءات موجود وقائم، والعلاقة بين الوزيرين هي علاقة شخصية وإنسانية طيبة، ولا ترتبط بالضرورة بوجود خلافات سياسية أو اختلافات في وجهات النظر.

وأضاف أن الخلاف المصري مع أي طرف لم يكن أبداً خلافاً شخصيّاً، ولكن دائماً ما تكون خلافات مصر مع أي

طرف على سياسات أو وجهات نظر معينة، وبالتالي لا يجب تأويل المسائل بشكل أكبر مما تحتمل.

ورداً على سؤال حول العلاقة بين مصر وإيران في الفترة القادمة، قال زكي: «إن العلاقات بين مصر وإيران هى علاقات قديمة، وقد شهدت هذه العلاقات في الفترة الأخيرة الكثير من التجاذبات والتوتر، ونعمل على استعادة العلاقات الطبيعية، ولا داع لتأويل الأمور أكثر مما تحتمل، أو أن نبالغ ونهول في حجم الخلاف ونصفه بأوصاف ليست موجودة».

ثم جاء الرد الإيراني سريعاً عندما وصف وزير الخارجية الإيراني متكي مصر بأنها بلد مهم على مستوى المنطقة، مؤكداً أن موقفها تجاه موضوع إيران النووي منطقي ومبدئي، وذلك خلال استقباله الرئيس الجديد لمكتب رعاية مصالح مصر في طهران.

ونقلت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية «إرنا» عن متكي القول: «إن المشاورات بين طهران والقاهرة تشكل دعماً قويّاً لشعوب المنطقة»، داعيا نظيره المصري أحمد أبو الغيط إلى زيارة طهران، والتشاور حول القضايا الإقليمية، فخرج وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط في ٣٠ سبتمبر الماضي بتصريحات مثيرة، أكد خلالها أن إيران ليست دولة معادية لمصر، ولكن القاهرة لها مطالب محددة فيما يخص برنامجها النووي.

وفي مؤتمر صحفي عقده مع نظيره البولندي رادوسلاف سيكوروسكي بالقاهرة، أضاف أبو الغيط قائلاً: «إننا نقولها بأكبر قدر من الصراحة والاستفاضة: إيران ليست دولة معادية لمصر؛ فهي دولة صديقة، ودولة إسلامية، ولكن مصر لها مطالب محددة فيما يتعلق بالقدرات النووية لطهران»، مجدداً في الوقت ذاته مطالب القاهرة لإسرائيل بالانضمام إلى معاهدة منع الانتشار، مثلها مثل باقي دول منطقة الشرق الأوسط.

ضحايا التقارب المصري الإيراني:

بعد هذه التصريحات الدبلوماسية الودية بين الجانبين أخذت سياسة التقارب بين مصر وإيران تدخل مسارات أكثر عمقاً ووضوحاً، منها: تخفيف اللهجة العدائية في الإعلام المصري ضد إيران، ورفع الدعم عن جماعة العلماء المسلمين العراقية؛ والتي كان لها مقر دائم بالقاهرة، وتحظى بدعم وعناية من الحكومة المصرية، والتجاهل المتعمد لكثير من الملفات العالقة بإيران، مثل: قضية انتهاك حقوق أهل السنة بإيران، والوجود الإيراني في أفغانستان، وملف جماعة جند الله، ثم كانت آخر هذه الخطوات المتبادلة توقيع اتفاقية الطيران المتبادل، وتقضي بتسيير ٢٨ رحلة جوية أسبوعيّاً بحد أقصى بين القاهرة وطهران، وهو عدد من الرحلات كان لا يقطع بين البلدين في سنوات؛ وليس في أسبوع واحد!

ثم توجت سياسة التقارب بالتصريح الشهير لشيخ الأزهر أحمد الطيب؛ الذي أعلن فيه أن لا يمكن تكفير الشيعة، وأنه لا يوجد مبرر واحد لتكفيرهم، وأفتي بصحة الصلاة خلفهم، وعقب على الفتوى الهزيلة الماكرة لخامنئي بتحريم الإساءة لأمهات المؤمنين؛ بقوله: «إنها صادرة عن علم صحيح، وعن إدراك عميق لخطورة ما يقوم به أهل الفتنة، وتعبر عن الحرص على وحدة المسلمين، ومما يزيد من أهمية تلك الفتوى أنها صادرة عن عالم من كبار علماء المسلمين، ومن أبرز مراجع الشيعة، وباعتباره المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية».

ولأن لكل سياسة حذرة، ولكل تقارب ضحاياه وقرابينه التي تذبح علي نصب الصداقة؛ فإن مصر قررت استخدام نفوذها الكبير علي الإعلام الفضائي لتحكمها من القمر الصناعي الأكبر في المنطقة (النيلسات)؛ ففتحت المجال أمام قرابة ٤٧ قناة شيعية تبث دعاياتها وعقائدها وأفكارها في عقول المسلمين، وأخذت في نفس الوقت في تحذير وتحجيم القنوات الفضائية التي تواجه هذه الأباطيل والضلالات التي تبثها القنوات الشيعية، تحت مسمى: (مخالفة شروط البث)!

ومن هذا المنطلق تم ذبح عدة قنوات إسلامية على

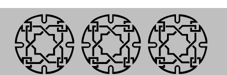
نهج السلف الصالح؛ وهو النهج الذي يرى فيه الإيرانيون أنه الأخطر والأهم في مواجهة مخططاتهم وأباطيلهم، وعلى رأس هذه القنوات التي تم إيقافها بحيلة لا تنطلي على طفل صغير، هي: قناة «صفا الكويتية»؛ والتي كانت شوكة في الحلق الشيعي في الفضاء الإعلامي العربي والإسلامي، واستطاعت أن تكشف كثير من مخططات الشيعة، وتفضح أباطيلهم، وكان المبرر لوقف القناة: أن جهات غير معلومة تقوم بالتشويش على إشارة القناة -التي لا يعلمها إلا القائمين على إدارة القمر الصناعي النيلسات-، وقد اتضح فيما بعد أن التشويش قادم من إيران، وقد قال خبراء البث الفضائي: إنه من المستحيل أن تقوم إيران بالتشويش من داخل إيران، وأن التشويش لا بد أن يكون صادراً من دولة قريبة في المنطقة، لبنان أو فلسطين أو الأردن أو الكيان الصهيوني! وهكذا، أما أن يكون التشويش من داخل إيران فمستحيل؛ كما قال الخبراء، وهذا يؤكد علي أن وقف قناة «صفا» ما هو إلا من صنيع القائمين على إدارة النيلسات، وهي إدارة في غاية أمرها خاضعة للتوجهات السياسية.

ولكن السؤال الذي يثور الآن:

هل تتوقف القرابين والضحايا عند وقف القنوات المتصدية للفكر والضلال الشيعي؟

أم أن وراء الأكمة ما هو أكبر وأعمق من وقف قناة؟

وهل وقف قناة «صفا» وأخواتها غاية الأمر؟ أم مجرد بداية لحملة تشييع ستجتاح المنطقة؟! في إطار اللعبة السياسة التي لا تعرف المحبة الدائمة والعداوة الدائمة، بل تعرف فقط المصالح الدائمة.



إستراتيجيَّات الإعلام الإيراني الموجّه للعالم العربي «البروباغندا بين الأهداف والنتائج»

فهد الأرغا المصري، «هسبريس»، ٢٠١٠/٧/٦

١ - المزدكيون الجدد!

منذ أن أبلغت إدارة قناة «العالم» الإيرانيَّة (المستعربة) قراراً بوقف بثّها، عبر قمري «عرب سات»، و«نيل سات» العربيّن؛ قامت قيامة «هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانيّة - IRIB» ولم تقعد! وقامت على الفور بناءً على توجيهات عُليا بالتعبئة العامّة، و إيجاد أقمار فضائيّة بديلة على وجه السّرعة، وهذا ما حدث، وأصدرت التوجيهات لطاقم مراسليها، وعقدت اللقاءات والندوات؛ وبشكل خاص في لبنان؛ للحصول على أكبر قدر من التصريحات، والمواقف من سياسيين، وحزبيين، ورجال دين، وإعلاميين، ومثقفين؛ للتنديد بهذا القرار، واعتباره منافياً لحرية التعبير والرأي، وخدمة لإسرائيل، وضربة للمقاومة وللقضّية الفلسطينيّة، ومصالح الأمّة الإسلاميّة والشعوب المستضعفة!!!

وعززت إيران على الفور حملتها في إطار تعبئة عامّة؛ إعلاميّة، وسياسيّة، وحتى مذهبيّة ضد المملكة العربيّة السعوديّة ومصر (أخبار مفبركة - برامج حواريّة لتأليب الرأي العام العربي - استطلاعات رأي معدة سلفاً بالأسئلة والنتائج)، إلى جانب إعلان تلفزيوني يتكرر على مدار السّاعة، موجّه ضد عرب سات ونيل سات، تحت شعار: «الكلمة تخيفهم».

وتركزت الحملة عبر القنوات الناطقة بلغة الضاد (المستعربة) من مرئية ومسموعة «قناة العالم - قناة

الكـوثر - راديـو طهـران» إلى جانـب القنـوات الإيرانيّـة الأخرى (قناة سحر - Press TV)، وأقحمت إيران في معركتهـا، القنوات التابعة لهـا أو القريبـة منهـا «قناة المنار التابعة لحزب الله - قناة الفرات التابعة للمجلس الأعلى للثّورة الإسلاميّة في العراق - قناة الأقصى التابعة لحركة حماس... إلخ).

في موقـع قنـاة «العـالم» عـلى الـشبكة العنكبوتيـة نلاحظ في زاوية خاصة عن هذا الموضوع مجموعة من التقارير والأخبار التي أعدّت لهذا الغرض، واخترت هنا نماذج من عناوينها الرئيسة: (سياسيون عراقيون يؤكدون وقوف واشنطن وتل أبيب والرياض وراء قطع بث قناة «العالم» - سياسيون عرب: قطع بث قناة «العالم» لن يمنع الصوت المدافع عن قضايا الأمّة - سياسي موريتاني: قطع بث قناة «العالم» جزء من سياسة الهيمنة الأمريكيّة - سياسيون مصريون: قطع بث «العالم» محاولة لإسكات الصّوت الداعم للمقاومة - استمرار التنديد في السّاحة السياسيّة والإعلاميّة العربيّة...).

جـلّ مـن أدلـوا بمواقـف وتـصريحات يمكـن تصنيفهم إلى ثلاثة أقسام:

- إيرانيين مستعربين، وعرب إيرانيي الولاء.
- لاهثين وراء مصالح ومآرب خاصة.
- مخـدوعين تـنطلي علـيهم المـسرحيّة الـسّياسيّة، والإعلاميّة الإيرانيّة، في العالم العربي (إسلاميّة إيران - دعمها «للمقاومة» القضية الفلسطينيّة - معاداة أمريكا «الشّيطان الأكبر» وإسرائيل)؛ فمنحوها مواقف مجانيّة، وهـؤلاء سيكتـشفون عـاجلاً، أم آجـلاً عـدم صـواب مواقفهم.

جميـع مـن سـاندوا إيـران في حملتهـا المـسمومة الـشّعواء يتحملـون المـسؤوليّة، وبنـسب متفاوتـة، لسببين:

الأول: أنهم تناسوا أن إيران فارسيّة، لها أطماعها، وأحقادها، وضغائنها التاريخيّة، وإلا لماذا لا تعيد الثّورة الإسلاميّة المتعاطفة بالشكل مع المستضعفين الحقوق المغتـصبة إلى أصـحابها؛ الـذين استـضعفهم الـشّاه – الأحواز - الجزر العربية الإماراتية (خير دليل قاطع على استمراريّة تلك النوايا: احتلال حقل الفكّة النفطي العراقي مؤخراً، تحت رايّة ومباركة الاحتلال الأمريكي - استباحة العراق، ولبنان، والعمل على قدم وساق لنشر التشيع الإيراني في سوريّة، تحت لافتات وشعارات إسلاميّة، ويافطات الممانعة والمقاومة).

الثاني: لم يكلف أحد نفسه معرفة ماهيّة وأسباب القرار العربي بإيقاف بث قناة «العالم» الإيرانيّة من على القمرين العربيين؛ والتي لا تحتاج إلى معرفتها سوى متابعة ما تبثّه «العالم»، وباقي القنوات الإيرانيّة، ومن يسير في فلكها من سموم، واستهداف لدول عربيّة لا تتفق مع الـسّياسات الإيرانيّـة، والعمـل عـلى زرع الفتنـة في دول العالم العربي دون استثناء (حزب الله - حماس - الخلايا السّريّة النائمة - مساندة الحوثيين وتسليحهم؛ مما يزعزع وحدة اليمن، ويفتح بؤرة خطيرة في الخليج العربي).

فهل من المنطق القبول باستهداف الثّوابت العربيّة، والـسماح باسـتهداف الرمـوز الدينيـة عـبر الأقـمار العربية؟!

٢ - إعلام الرايخ الإيراني!

إن نموذج الإعلام في حقبة الرايخ الثالث (ألمانيا النازيّة)؛ الذي كان يشرف عليه د. جوزيف غوبلز (وزير الدّعاية السّياسيّة في حكومة أدولف هتلر) صاحب المقولة الشهيرة: (اكذب ثم اكذب؛ حتى تصبح الكذبة حقيقة!)، يتشابه إلى مدى بعيد مع إعلام باقي الأنظمة

الديكتاتوريّة والشموليّة، في تسخير وتوظيف الإعلام؛ للتأثير على الرّأي العام، والثقافة الجماهيريّة (la Culture de Masse)، يتطابق تماماً مع النموذج الإيراني في النهج والتخطيط، والتكتيك والاستراتيجية، والأسلوب والعرض، وهو إعلام البروباغندا، الدعايّة، والترويج؛ التي تعول عليها الأنظمة الشموليّة بأجندة سياسيّة، وسيكولوجيّة ذكيّة ومدروسة.

لذلك ليس من المستغرب وجود أقسام خاصّة تسمى: «قسم الدّراسات والتحقيقات - قسم ثقافة النّاس... إلخ» في مركز التّحقيقات والدّراسات والأبحاث والتقييم البرمجي التابع لـ «هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانيّة».

٣- من غوبلز إلى ضرغامي!

قناة «العالم» (إحدى مؤسّسات هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانيّة IRIB)؛ والتي تشمل أكثر من ٣٥ قناة إذاعيّة وتلفزيونيّة حكوميّة، وتضم حاليّاً أكثر من ٢٥٠٠٠ موظف، تأسّست عام ١٩٦٦، كان يرأسها منذ عام ١٩٩٦ ولمدة عشر سنوات رئيس البرلمان الحالي علي لاريجاني، قبل أن يكلف برئاستها عام ٢٠٠٥ العميد في الحرس الثوري المهندس عزت الله ضرغامي (يمنح الدستور الإيراني المرشد الأعلى للثّورة الولي الفقيه السلطة المطلقة في تعيين أو عزل و تكليف من يراه مناسباً لهذا المنصب الاستراتيجي، فمؤسّسة الإذاعة والتلفزيون لاتتبع أي جهة حكومية، بل تعتبر من الهيئات والمؤسّسات التي يشرف عليها المرشد مباشرة عبر ممثليه، ومنها:الحرس الثورى - حركة التعليم - المجلس الأعلى للثقافة - منظمة الدعايّة الإسلاميّة).

ومما قاله خامنئي في قرار تكليف ضرغامي: «بالنظر لإمكانياتكم وتجاربكم ومعرفتكم الواسعة بشؤون هذه المجموعة الكبيرة والمؤثرة؛ أعينكم رئيساً لهيئة الإذاعة والتليفزيون لمدة خمس سنوات».

ويعتبر ضرغامي أن هيئة الإذاعة والتليفزيون أحد الأركان الأساسيّة للنظام، بعد أن جمع إلى نفوذه في السينما، والمسرح، والموسيقى، والصحافة، نفوذاً على أكبر هيئة ثقافيّة إعلاميّة قوميّة.

والعميد ضرغامي (غوبلز إيران) هو أحد المشاركين مع نجاد في احتلال السفارة الأمريكية في طهران عشية انتصار الثورة، وهو أحد أركان مجموعة المسؤولين المعتقدين في الولاية المطلقة للفقيه، من غير علماء الدين.

٤ - «السّم في كأس الحليب»!

عام ٢٠٠١ تواطأت إيران الجمهوريّة (الإسلاميّة)، وقدمت المعلومات والتسهيلات لواشنطن لاحتلال أفغانستان، وتخلّصت من نظام طالبان المتباين معها؛ والذي كانت تعتبره تهديداً لأمنها القومي والمذهبي، وتأكد (للولي الفقيه المعصوم، خليفة النبّي، نائب الإمام الغائب المهدي صاحب الزمان، ولي أمر المسلمين، مرشد الثّورة الإسلاميّة، آية الله العظمى علي الخامنئي) نوايا الولايات المتّحدة الأمريكيّة بضرب العراق، واحتلاله؛ فأصدر تعليماته إلى رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون علي لاريجاني بإنشاء قناة إخباريّة تلفزيونيّة فضائيّة ناطقة باللغة العربيّة، تتوجه إلى العالم العربي؛ وبشكل خاص في الشرق الأوسط؛ لتدعيم الموقف السّياسي لإيران، ودعم استراتيجياتها الجديدة، ومصالحها، وحلفائها في المنطقة؛ فتم التحضير لإنشاء القناة الفضائية «العالم» منذ أواخر عام ٢٠٠١ حتى موعد بثها؛ الذي بدأ بالتزامن مع قرع طبول الحرب على العراق، في بدايات عام ٢٠٠٣.

ومنذ انطلاقتها حتى نهاية ٢٠٠٤، في عهد رئيسها الأعلى لاريجاني، ومديرها العام حسن بهشتي بور، أي: خلال فترة حكم الرئيس محمد خاتمي؛ كانت «العالم» هادئة بشكل عام في أدائها، رغم ثقل ودور ضباط الحرس الثوري داخل أجهزة القناة (نموذج بيمان جبليّ في إدارة قسم الأخبار، ثم تكليفه عام ٢٠٠٥ إدارة مكتب بيروت وعباس خاميار في قسم البرامج الذي انتقل فيما بعد، ليصبح عضواً في الهيئة الإيرانية لإعادة إعمار لبنان!)، لكن ومع وصول محمود أحمدي نجاد للرئاسة؛ تسلم محمد سرافراز إدارة قناة «العالم» إلى جانب منصبه كمدير شؤون الإعلام الخارجي في هيئة الإذاعة والتلفزيون.

كما ونلاحظ أن (الخطوط الأساسيّة) في استراتيجية «العالم» منذ انطلاقتها (العراق - لبنان - القضية الفلسطينيّة - القوة السّياسيّة/العسكريّة الإيرانيّة وبرنامجها النّووي - تشويه صورة من يعارض السّياسات الإيرانيّة من الدّول أوالجماعات أو الأفراد) للترويج لمشروعها على عدة محاور، مستفيدة من العديد من العوامل، مستعينة بأحمر الخدود، والشفاه، ومواد التجميل («إسلاميّة» إيران - شؤون الإسلام والمسلمين - دعم «المقاومة» في فلسطين ولبنان، فيما يغيب الحديث عن دور ودعم المقاومة العراقيّة، وينوب عنه دور ودعم التنظيمات الشّيعيّة، التي تسبح في فلك طهران»)، وهذا ما عكسته السّياسة البرامجيّة والإخباريّة والخط التحريري العام (برامج منها: من طهران - من العراق - الإمبراطوريّة السّادسة - مع الحدث - الرّأي الأول - العين الإسرائيليّة – المحور... إلخ).

ومع انطلاقة قناة «العالم» -أيضاً- تم تجميد القسم العربي لقناة «سحر» الإيرانيّة؛ التي تأسّست عام ١٩٨٠ لتبث برامجها بعدة لغات، منها: الفرنسيّة، والإنجليزيّة، ولتحل قناة «الكوثر» (العامّة والمنوّعة) باللغة العربيّة مكانها في التوجه نحو الجمهور العربي، ببرامج دينيّة تبشيريّة للمذهب الشيعي الإثني عشري، وفق الرؤى والأفكار الإيرانيّة (منها برامج: مطارحات في العقيدة - أحكام الإسلام - حقائق التاريخ - عقائد الإسلام - المهدي الموعود - مرايا الفكر - الصّادق إمام المسلمين)، ومن يتابع تلك البرامج بعين وأذن المراقب سيتأكد دون أي مجال للشك أنها تهدف إلى إذكاء التعصب، والتشدد المذهبي والطائفي، وبث الفتنة من جهة، ومحاولة استمالة أبناء الفرق والمذاهب الإسلاميّة الأخرى نحو التّشيع الإيراني من جهة أخرى.

أما مع مراقبة المسلسلات التاريخيّة الإيرانيّة، المدبلجة للعربيّة على قناة «الكوثر» نتأكد -أيضاً- أن هناك استراتيجيّة ذكيّة وخطيرة، تحوّر الحقائق ووقائع التاريخ (كنموذج: مسلسل يوسف الصّديق - مسلسل الطريق إلى الّري)، ومسلسلات للترويج لقوة وزارة اطلاعات (المخابرات)، والأجهزة الأمنيّة الإيرانيّة في كشف و تتبع شبكات الجاسوسيّة والإجرام، على شاكلة ونموذج المسلسلات البوليسيّة الأمريكيّة، ونلاحظ أن كافة المسلسلات التلفزيونيّة الإيرانيّة المذكورة تعرض على قنوات أخرى، تتبع التوجه الإيراني؛ كقناة «الفرات، والمنار»، وغيرها.

٥ - الكلمة تخيفهم.. نظامهم من ورق!

في مقابلة مع راديو وتلفزيون «فارس» حول قناة «BBC Farsi» البريطانية الموجّهة إلى إيران، قال ضرغامي(غوبلز إيران): «من وجهة نظرنا: إن الشبكات الناطقة بالفارسيّة لها أهداف مشتركة... الشعب الإيراني لا يعير أهمية لما تبثه هذه الشبكات الأجنبية، وبالتالي فإن

كل ما تضيفه من برامج عديم التأثير!! ولا يؤدي إلى ما ينوون الوصول إليه من أهداف!! ليس لها تأثير على الشعب الإيراني بالنسبة لمجتمعه، ونظرته للخارج، فاعتماده على وسائل الإعلام المحليّة...».

إذن لم قام كبار المسؤولين الإيرانيين بصب جام غضبهم على بريطانيا نتيجة التغطية المهنية المتميزة لفضائية BBC Farsi؛ والتي كان العميد ضرغامي نفسه قائد إدارة التشويش عليها، وكذلك على قناة العربية، وغيرها، وبالتنسيق مع وزارة اطلاعات -أيضاً-؛ لحجب مئات المواقع الإلكترونية، والتأثير على خدمات الهاتف النقال، والإنترنت؛ لحجب الحقيقة والرأي الآخر عن الشارع الإيراني حول ما حدث ويحدث في الشارع الإيراني، منذ بداية معركة «الانتخابات الرئاسيّة» في حزيران / يونيو الماضي وحتى الآن، بل وعمدت أجهزة الأمن والمخابرات والحرس الثوري؛ التي ينتمي إليها (غوبلز إيران) إلى قمع وسجن وقتل المعارضين والمثقفين؛ من أبناء الشعب الإيراني.

لسان حال ضرغامي ما قاله غوبلز: «كلما سمعت كلمة مثقف.. تحسّست مسدسي».

٦ - **«شيشليغ» و«چلو كباب»:**

أوروبا أدركت مبكراً خطر الفضائيات الإيرانيّة على مواطنيها من الجاليات العربيّة والإسلاميّة، وشكلت لجنة تحقيق، تمهيداً لوقف بث قناة «العالم»، وغيرها من على الأقمار الفضائيّة الأوروبية، وجاءت خطوة كل من المؤسّسة العربيّة للاتصالات الفضائيّة - عرب سات؛ التي تتبع جامعة الدول العربيّة، والشركة المصريّة للأقمار الصناعيّة - نيل سات، فاستبشرت خيراً، واعتبرتها خطوة إيجابيّة شجاعة وأولى لحمايّة المواطن العربي من السّموم الفضائيّة.

بيد أن عدول عرب سات عن قرارها، بعد أكثر من شهر من حظر بث قناة «العالم» يعتبر خطوة غير مفهومة!؟

العديد من الدراسات والأبحاث تشير إلى أن القنوات المرئية تتصدر وسائل الاتصال الجماهيري، وأبرزها، والأقوى والأقدر، والأكثر إقناعاً، وتأثيراً على المتلقين؛ لتمتعها بخاصيتي الصوت والصورة؛ لا سيما إذا أخذنا في عين الاعتبار أن وسيلة المعرفة والترفيه الأولى للمواطن العربي تصل إليه عن طريق الفضائيات، وهي مصدره الأول للأخبار والآراء، وتمتلك سلطة المساهمة الإيجابية أو السلبية في صياغة وإعادة تشكيل الآراء، والمفاهيم والقيم، وتوجيه السلوكيّات، وأنماط التفكير، والتوجهات والقدرة على الرفع؛ من حساسية مختلف فئات الجماهير لقضايا محددة إلى درجة التحكم في تسييس الجمهور، والترويج لأجواء من التحريض، أو اللامبالاة!

إن سلطة ودور الإعلام المرئي في العالم العربي إن لم يكن قد تجاوز بعد دور الأسرة، والمؤسّسات التربويّة والتعليميّة والدينيّة؛ فهو في حالة تنافسيّة معها، وهنا تكمن خطورة الأدوار المنوطة بالفضائيات المرئيّة الموجّهة نحو العالم العربي؛ كالفضائيّات الإيرانيّة (قناة العالم - الكوثر – المنار - الفرات -، وقنواتها في التبشير المذهبي: الزهراء - المهدي - الغدير - الثقلين – الأنوار... إلخ)، وبالتالي فإن الحكومات وجامعة الدّول العربيّة مطالبة باتخاذ قرارات وإجراءات شجاعة وجريئة بفرض عقوبات صارمة على إيران وجهازها الإعلامي؛ حتى تعود إلى رشدها إن عادت!

«فإذا رأيت شيئاً ينقر مثل البطّة.. يبطبط مثل بطّة.. يتمايل مثل بطّة؛ فلا يمكن أن يكون إلا بطّة!».

تحذير من إمامة زيدية باليمن

«لجينيات»، ٢٠١٠/١٠/١٠

دفع الصراع الدائر حاليّاً بين الحوثيين من ناحية، ومجاميع قبلية والسلطات المحلية في محافظة الجوف من ناحية أخرى إلى إثارة تساؤلات بشأن «تمدد» نفوذ الحوثيين من صعدة إلى الجوف شرق صنعاء؛ فقد شهدت مديرية خراب المراشي بمحافظة الجوف الأسبوع الماضي مواجهات مسلحة بين مجاميع من قبائل موالية للسلطة والحوثيين، سقط بها قتلى وجرحى من الطرفين.

وأرجعت مصادر قبلية نشوب القتال إلى رفض أتباع الحوثي إخلاء مقر المجمع الحكومي في مديرية المراشي بالجوف، عقب سيطرتهم عليه قبل نحو أسبوعين، وكان قرار حكومي بتعيين مدير أمن جديد ينتمي لإحدى أبرز القبائل الموالية للسلطة قد أثار حفيظة الحوثيين، وجعلهم يستولون على المجمع الحكومي.

ويرى مراقبون أن الحوثيين تمكنوا خلال الفترات الماضية من بسط نفوذهم على ست مديريات في محافظة الجوف، هي: الغيل ومصلوب والمطمة والزاهر وخبّ والشعف، إلى جانب منطقة «خراب المراشي»، وإنهم بصدد بسط سيطرتهم الفعلية على مناطق أخرى.

الحوثيون يسيطرون على ٤ محافظات!

من جانبه أشار المحلل السياسي محمد الغابري إلى أن رئيس حزب الحق المعارض حسن زيد كان قد تحدث عن أن الحوثيين يسيطرون حاليّاً على أربع محافظات كليّاً أو جزئيّاً، وهذه المحافظات هي: صعدة والجوف وعمران وحجة.

وأرجع ما يجري في الجوف إلى مشكلة تتعلق بالسلطة ووجودها في المنطقة، موضحاً أن السلطة المحلية بالجوف لم تستطع أن تكون أداة حقيقية للدولة، وأن تقدم خدمات للمواطنين؛ حتى تقنعهم بأن «الدولة أفضل».

وقال: «هناك إهمال وانعدام للخدمات الأساسية من كهرباء وصحة وتعليم، وهذه كلها تكوّن بيئة ملائمة لأي جماعة تريد بسط سيطرتها وسلطتها على المنطقة، وأن تقدم نفسها بديلاً عن الدولة»، بحسب «الجزيرة نت».

إعادة الإمامة الزيدية:

واعتبر الغابري أن «السلطة بضعفها الحالي تمثل عنصر قوة مضافة للحوثيين، وبالتالي ليس غريباً أن يتمددوا ويتوسعوا».

لافتاً إلى أن «اختراق الحوثيين للسلطة يساهم في ذلك، ويعطيهم عناصر قوة؛ من حيث المعلومات الاستخبارية، كما أنهم يعملون على تضليل السلطة نفسها؛ من خلال إعطائها انطباعاً بأنهم ضعفاء بمنقطة ما، وهم في الواقع يتمتعون بالقوة، ويواصلون التوسع».

ورأى أن التمدد الحوثي إلى محافظات أخرى محاذية لصعدة يأتي ربما في سياق «مخطط»، ويرتكز على خلفية تاريخية، تتعلق بتطلع الحوثيين إلى إعادة الإمامة الزيدية على مستوى اليمن الشمالي سابقاً.

دعوات نقابية لاستقالة نقيب المهندسين لاستقباله السفير الايراني بمجمع النقابات!

«موقع السوسنة»، ٢٠١٠/١١/٢

تفاعلت زيارة السفير الايراني في عمان إلى نقابة المهندسين، الاثنين، ولقائه بالنقيب عبد الله عبيدات

لأكثر من ساعتين؛ دون توضيح التفاصيل.

وقالت مصادر نقابية لـ «السوسنة» أن السفير الإيراني وصل مجمع النقابات بسيارة مدنية؛ وليست سيارة السفارة، ودخل المجمع، والتقى النقيب عبيدات.

وقد أعربت قائمة العمل المهني (القائمة الخضراء) في نقابة المهندسين عن رفضها للزيارة، داعية مجلس النقابة والأمين العام إلى تقديم استقالاتهم.

وأعربت القائمة وباسم جميع المهندسين الأردنيين رفضها واستنكارها وشجبها لهذا التصرف غير المسبوق، وغير المسؤول من قبل نقيب المهندسين.

وقالت: إن النقيب والأمين العام وضعوا أنفسهم في الخندق المناقض لشعبنا وأمتنا.

مضيفة في بيان أصدرته الثلاثاء: «وأنكم قد كشفتم عن مكونات هذا (الحلف الخفي)؛ الذي يدور الحديث عنه بزعامة إيران وعملائها في المنطقة، والذي يتعارض مع مصالح شعبنا في الأردن.

وإننا ندعو مجلس نقابة المهندسين الأردنيين والأمين العام؛ وبعد هذا التصرف المعادي لكافة مهندسي الأردن؛ إلى تقديم استقالتهم فوراً؛ لأن المجلس بهذا التصرف غير القانوني وغير النقابي وغير المهني يقوم بدور خفي غير منصوص عليه بقانون نقابة المهندسين الأردنيين.

فتنة حب إيران، وانشغالات العرب!

د. مهند مبيضين، «الغد الأردنية»، ٢٠١٠/١٠/٣٠

«محظوظون هم الأشخاص الذين تبقى صفحاتهم فارغة في كتب التاريخ».. هذا قول للمؤرخ البريطاني توماس كارلايل؛ الذي عاش في القرن التاسع عشر، ومن المرجح أن يذرف المؤرخون في المستقبل الدموع وهم يخطون تاريخ العراق بين احتلالين: احتلال أميركي مباشر، واحتلال إيراني خفي؛ كشفته وثائق ويكيليكس.

لكن رجلاً واحداً في الشرق الأوسط امتلأت صفحاته بالمديح وذكر المحاسن وهو أحمدي نجاد، ومع ذلك سنبكي؛ لأننا بمدحه ضيعنا العراق، وربما لبنان وأمكنة أخرى.

المفتونون بإيران ما يزالون يرون أنها خادمة الأمة، ونائبة عنها في أمر الجهاد ضد الصهيونية، والفتنة في حب إيران -للأسف- بازدياد، وهي اليوم تحقق مزيداً من النفوذ بالمنطقة، فقد رأينا بعض اللبنانيين يرون في مجيء نجاد إلى بنت جبيل «معجزة إلهية»، وهناك بشر نجاد بامتداد حلف إيران من خراسان إلى غزة، وإقليم خراسان كان يمثل قلب الدولة الساسانية القديمة، ومنه انطلقت الدعوة للتبشير بفكرة الخلاص المهدوية.

وقد نجح الإيرانيون بالترويج لروايات، منها: أن أصحاب الرايات السود من خراسان شرق إيران يمهدون لدولة المهدي الخراساني، وأنهم يوطئون له سلطانه.

ليس هذا كلاماً لإسقاط التاريخ على خطاب نجاد، ولا هو للاستشهاد به ضد طموح ايراني بالمنطقة أو للتنبيه من خلاله إلى خطر الروح الفارسية التي تحكم العقل الايراني الحاكم؛ لكنه للتذكير فقط بأن إيران لن تترك السهل الغربي -وهو العراق- من دون أن يكون لها به طموح أو اطماع، فإضعاف العراق هو تفكير استراتيجي يحكم عقل فارس القديم والحديث والمعاصر.

ومع أن كل القرائن والحقائق ماثلة على أطماع إيران بالعراق وغير العراق؛ إلا أن العقل العربي

-للأسف- يراها سيدة المقاومة وراعيتها الأولى في المنطقة، وإيران لا يضايقها هذا الاحساس عند حلفائها العرب، بل على العكس يوفر لها مجالاً للتفاوض بشكل أكبر لخدمة مصالحها؛ حتى مع الولايات المتحدة.

على أرض الواقع كشفت وثائق ويكيليكس أن كل العراق بيد إيران، وعلى أرض لبنان كل لبنان تحت رحمة حزب الله وكيل إيران، وأحداث السابع من أيار ٢٠٠٨ التي جرت في العاصمة اللبنانية، وهددت باحتلال بيروت نموذج ما يزال حاضراً على فرضية حكم القوة، وفي مناطق أخرى نفوذ وحركة تشيع ثقافي واضحة.

وكل هذا يحدث وإيران تمعن في تمزيق العراق، وترعى العنف، وتشكل مليشيات سرية تفجر وتقتل وتهلك الحرث والنسل، وفي ذات الوقت نجد أنها كانت تتعامل مع حلفاء أميركا بأفغانستان، وترسل الأموال بالأكياس لهم.

على العرب المفتونين حبّاً بالسيد نجاد أن يعوا خطر إيران، وأن يحسبوا حساب إفراغ المنطقة من أي قوة، صحيح أنها تتمثل بخطاب المقاومة؛ لكنها على استعداد لأي صفقة ممكنة مع الشيطان الاكبر.

لكن في ظل قوة إيران يجب السؤال: هل هناك بدائل قوية عوضاً عنها؟

للأسف الجواب: لا؛ لأن انشغالات العرب مفرطة بسباق الهجن! وإعداد أكبر صحن تبولة أو حمص!!

كرزاي يقر بتلقي أموال من إيران

«الغد الأردنية»، ٢٦/١٠/٢٠١٠

أقر الرئيس الأفغاني حميد كرزاي أمس أن ادارته تتلقى «أكياساً من المال» من إيران، غير أنه أكد أن هذه المدفوعات كانت «شفافة»، وذلك أثر نشر صحيفة «نيويورك تايمز» معلومات عن سعي إيران إلى ترسيخ نفوذها في كابول؛ عبر دفع أموال لرئيس مكتب كرزاي.

ونقلت «الديلي تلغراف» أمس عن مصادر افغانية وغربية في كابل أن مسؤولين إيرانيين يعطون أموالاً طائلة لكبير مساعدي الرئيس حامد كرزاي؛ من أجل كسب نفوذ في البلاد، وتهميش حلف الناتو.

وتقول الصحيفة: إن «هذه الأموال التي تبلغ ملايين الدولارات تنتهي في صندوق سري؛ يستخدمه الرئيس كرزاي ومساعده أمير دزائي لشراء السياسيين الأفغان وزعماء القبائل؛ لضمان ولائهم».

«**وتهدف الأتاوات الإيرانية** إلى الابقاء على السيد دزائي -الذي كان سفيراً في طهران- مخلصاً لها، ومحافظاً على خطابه المعادي للغرب».

وقلل أحد أعوان دزائي من هذه التهم، قائلاً أنها «هراء!»، وتأتي هذه التقارير في وقت حساس بالنسبة لأفغانستان؛ حيث يتنافس جيرانها للتموقع بشكل ملائم للاستفادة من المصالحة التي يرونها قريبة.

من ناحيته قال غلام داستجير ازاد -محافظ اقليم نيمروز الأفغاني السابق- أن كابول وحلفاءها الغربيين يستخفون بتأثير إيران الذي يزعزع استقرار أفغانستان.

وقال ازاد -الذي يزعم أنه عزل من منصبه لانتقاده طهران- أنه كثيراً ما حقق في هجمات داخل أفغانستان استخدمت فيها أسلحة مقدمة من إيرانيين، أو نفذها متشددون دربهم إيرانيون، وأنه هو نفسه كان أحياناً هدفاً مقصوداً لهجمات.

وأضاف: «إن الحكومة وحلفاءها الأجانب يركزون أكثر مما يجب على باكستان جارة أفغانستان، في عملية

البحث عن الاستقرار، ويتجاهلون دور إيران».

وأردف قائلاً لـ «رويترز» أول من أمس الأحد، في مقابلة في شقته في العاصمة الأفغانية كابول: «لا أحد يولي اهتماماً كثيراً لإيران مثل باكستان، ولكن هذا خطأ.. إيران تلعب لعبتها الخفية لزيادة نفوذها في المناطق الغربية».

وأضاف: «إننا في نيمروز نتقاسم نحو ٩٠ كيلومتراً من الحدود مع إيران، والتي تستغلها إيران بسهولة لكي ترسل بشكل منتظم شحنات ناسفة وأسلحة إلى إفغانستان»، وترك ازاد منصبه في الأقليم قبل شهرين.

وأبلغ ضابط شرطة من قوات الحدود «رويترز» أول من أمس الأحد أنه قبل أسبوعين عثر على ١٩ طنّاً من المتفجرات، في حاوية قادمة من إيران، مخبأة أسفل مواد غذائية.

ونصح بألّا يتكلم بسوء عن النفوذ الإيراني في المنطقة، وطلب منه ألا يكشف عن هويته.

ولكن الأقليم يشترك في الحدود مع إيران إلى الغرب وباكستان إلى الجنوب، وهما دولتان يصفهما ازاد بانهما: «جاران مخيفان»، ويعدان معبراً منذ فترة طويلة للمهربين.

وأضاف ازاد: «مادمنا لا نعزز حدودنا؛ فإن الأمن سيزداد تدهوراً»، مشيراً إلى أشخاص كانوا سينفذون هجمات انتحارية، وقال أنهم اعتقلوا، واعترفوا للشرطة في نيمروز بأنهم تلقوا التدريب في إيران.

وقال: «لدي -أيضاً- أدلة على أن إيران تسيء استغلال لاجئين أفغان؛ من خلال توفير المأوى والعتاد والتدريب، ثم ترسلهم بعد ذلك لتنفيذ هجمات ضد الحكومة وقوات حلف شمال الاطلسي».

إيران وأفريقيا.. اليورانيوم رأس الدوافع

مروى صبري، «الشرق الأوسط»، ٢٠١٠/١٠/٢٢

هل تضع إيران عينها على أفريقيا؟ ومن أي زاوية في سباق المصالح وصراع القوة والنفوذ والتناحر الداخلي الذي تعاني منه الكثير من دول القارة السمراء؟

هذه الأسئلة والهواجس تستشرفها كلمة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، أمام القمة الثانية عشرة للاتحاد الأفريقي، في أديس أبابا عام ٢٠٠٩؛ التي قال فيها: «أفريقيا قارة تعج بالقيم البشرية والثقافية وقدرات كبيرة في مجالات مختلفة، وفي المقابل تتمتع إيران بقدرات هائلة تمكنها من الدخول في تعاون عملي ومربح مع القارة الأفريقية».

وسواء اتفقت أو اختلفت مع كلمة نجاد؛ فالواقع الفعلي يسجل اعترافاً بالنجاح الدبلوماسي الباهر الذي حققته إيران في غزو أفريقيا، ربما كأحد الحلول للفكاك من عزلة دولية مؤلمة تعاني منها إيران تقريباً منذ قيام الثورة الإسلامية بها عام ١٩٧٩، وتفاقمت بشدة خلال السنوات الأخيرة؛ بسبب برنامجها النووي، والشكوك الغربية حول حقيقة أهدافها.

لقد وجدت إيران في أفريقيا ضالتها المنشودة على أكثر من صعيد، ورغم أن التقارب الإيراني - الأفريقي لا يعد بالسياسة الجديدة بالنسبة إلى طهران؛ فإنه شهد زخماً غير مسبوق في عهد الرئيس محمود أحمدي نجاد؛ خاصة منذ عام ٢٠٠٦.

لكن التساؤل الأكثر إلحاحاً هو: هل يعتمد التقارب الإيراني - الأفريقي على أسس متينة مستدامة، أو أنه

مجرد تقارب وقتي؛ قد يتبدل في أي لحظة مع تبدل الأنظمة أو الظروف الراهنة؟

لغة الأرقام لا تعرف الكذب، وهي تكشف بجلاء عن هذا التقارب؛ حيث أعلن مدير المكتب التجاري للشؤون العربية والأفريقية التابع لمنظمة تعزيز الشؤون التجارية الإيرانية سيد حسين حسيني، في يناير / كانون الثاني من العام الحالي ارتفاع الصادرات غير النفطية للدول الأفريقية خلال السنة الإيرانية الحالية (المنتهية بحلول ٢٠ مارس /آذار)، بنسبة ١٤ في المائة، خلال تسعة أشهر، مضيفاً أنه خلال تلك الفترة بلغت قيمة الصادرات غير النفطية لأفريقيا ٢٢٨.٦ مليون دولار، بارتفاع عن ٢٠٠.٨ مليون دولار العام الماضي.

واستطرد المسؤول موضحاً ارتفاع صادرات إيران للمغرب بنسبة ١٤٥ في المائة، على رأسها الفستق والتمر والفواكه والنشادر.

وأضاف: أن الصادرات غير النفطية ارتفعت بنسبة ٨ في المائة لكوت ديفوار، و١٢ في المائة للسنغال، و٥٠ في المائة لمصر.

وأشارت تقديرات إلى أنه في العام الماضي بلغ إجمالي الزيارات الوزارية رفيعة المستوى من الجانب الإيراني لأفريقيا ٢٠ زيارة، تمخضت عن توقيع مجموعة واسعة من الاتفاقات التجارية والدبلوماسية والدفاعية.

أما العام الحالي؛ فشهد زيارة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد لأوغندا وزيمبابوي في أبريل / نيسان، والجزائر في سبتمبر / أيلول.

كما زار وزير الخارجية الإيراني منوشهر متقي ليبيا، في يناير، وشارك في قمة الاتحاد الأفريقي الـ ١٤ في أديس أبابا، في فبراير / شباط، أتبعها بزيارة في مارس لكينيا وأوغندا؛ التي كانت قد استقبلت من قبله علي لاريجاني -رئيس البرلمان الإيراني في يناير-.

أما عن الدوافع التي تدفع بطهران إلى أحضان القارة السمراء؛ فهي متنوعة، من أهمها: رغبتها في كسر العزلة الدولية القاسية المفروضة عليها؛ عبر بناء شبكة من التحالفات مع دول بعضها يتفق معها في عداء الغرب؛ خاصة الولايات المتحدة (السودان، وزيمبابوي)، أو يشعر بنوع من العزلة والتهميش على الصعيد الدولي في وقت يحتاج فيه إلى مساعدات خارجية (جزر القمر، وإريتريا)، أو بحاجة إلى استثماراتها في مشاريع إنمائية وخبراتها الفنية (السنغال، وموريتانيا، وجيبوتي)، أو يشاركها في آيديولوجيتها الثورية (السودان)، أو بحاجة ماسة إلى النفط (جنوب أفريقيا، وزيمبابوي).

لكن الأمر لا يقتصر على كسر العزلة؛ ذلك أن أفريقيا تعد منجم ذهب على الصعيد الدبلوماسي؛ لما تحظى به من ٥٣ صوتاً داخل الأمم المتحدة، ونيل بعض أعضائها عضوية مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بصفة دورية، ووجود آخرين في مجلس المحافظين بالوكالة الدولية للطاقة الذرية، مثل: جنوب أفريقيا، الأمر الذي قد يساعد في التصدي أو التخفيف من أي قرارات دولية ضد طهران، إلى جانب نيل تأييد لبرنامجها النووي، وهو ما أعلنه الكثير من الدول الأفريقية بالفعل، مثل: السودان، والسنغال، وكوت ديفوار، وجيبوتي، وإريتريا.

ويتمثل دافع آخر في الالتفاف على العقوبات المفروضة عليها؛ وذلك عبر سبل متنوعة، منها: تخزين النفط في دول أفريقية، علاوة على ذلك نجد الرغبة الإيرانية القديمة في الاضطلاع بدور الريادة، ونيل مكانة القوة العظمى، وهي مكانة ترى أنها تليق بها عن استحقاق بالنظر إلى تاريخها ومساحتها وثقلها السكاني

وموقعها الاستراتيجي ونفوذها.

ويخالج إيران -على ما يبدو- شعور بالغبن لحرمان المجتمع الدولي لها من هذه المكانة، وهنا تظهر أفريقيا كميدان مثالي لتمارس فيه طهران دور الزعامة، معتمدة في ذلك على عدد من الأدوات، أولها: الظهور بمظهر المدافع عن المقهورين.

وقد أعلن أحمدي نجاد أن بلاده خلقت لنفسها مكانة متميزة عالميّاً كرائدة في مساندة الخير ومحاربة الشر.

ونجحت طهران في إضفاء طابع إسلامي بطولي على برنامجها النووي، مما انعكس على تصريحات بعض القادة الأفارقة، فمثلاً:

عام ٢٠٠٦ أعلن الرئيس السوداني عمر البشير أن البرنامج النووي الإيراني يعد «نصراً كبيراً للعالم الإسلامي».

ومنحت جزر القمر الرئيس أحمدي نجاد أرفع وسام بها، وأعلن الرئيس عبد الله سامبي خلال الاحتفال أن إيران تعد النموذج الأمثل في العالم المسلم.

ووصف الرئيس الجيبوتي إسماعيل عمر جيلة إيران خلال زيارة رسمية لها عام ٢٠٠٦ بأنها «رائدة الدول الإسلامية المقاومة لأعداء الإسلام».

ثانياً: المساعدات المالية والفنية والهندسية والدفاعية:

وفعليّاً تشارك طهران في الكثير من المشاريع الإنمائية في عدد كبير من الدول الأفريقية، في مجالات، منها: معالجة المياه، وبناء الطرق، وتصنيع السيارات والجرارات، وبناء المساكن، وتوليد الكهرباء.

ثالثاً: عرض المشاركة بالخبرة النووية، مثلما حدث مع السودان والجزائر.

رابعاً: عرض الوساطة في الصراعات الداخلية بين الدول الأفريقية:

وعلى سبيل المثال: في فبراير الماضي أشاد السفير السوداني لدى إيران سليمان عبد الطيب الزين بجهود إيران لتسوية الصراع في دارفور، وقال: «اضطلعت جمهورية إيران الإسلامية بدور بناء في تسوية الأزمة في دارفور».

وفي مارس من هذا العام: شارك منوشهر متقي في اجتماع رباعي ضم إيران وكينيا والصومال و«الهيئة الحكومية للإنماء» (إيقاد)؛ لزيادة الوعي العالمي بالوضع في الصومال.

كما عرضت إيران الوساطة لتسوية الخلاف بين تشاد والسودان، بل ناشدتها تشاد القيام بذلك؛ حيث شدد وزير الخارجية التشادي أحمد علامي على إيران خلال مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره الإيراني منوشهر متقي في مارس ٢٠٠٧، قائلاً: «نعول على قدرة إيران على تهدئة الأزمة».

خامساً: محاولات نشر المذهب الشيعي:

وهي أداة شائكة أتت في بعض الأحيان بنتائج شديدة السلبية، تجلت في قطع المغرب علاقاته الدبلوماسية معها في مارس ٢٠٠٩.

في المقابل؛ حققت هذه الأداة نجاحاً في بعض الدول، مثل: السنغال التي تشهد حاليّاً -على ما يبدو- تحولاً دينيّاً؛ حيث سمحت السلطات ببناء حوزة شيعية، وتحول عدد صغير -لكن لافت للانتباه- من السنغاليين إلى المذهب الشيعي.

لكن «اليورانيوم» يبقى على رأس الدوافع الإيرانية

وراء التودد إلى أفريقيا، فمع القارة السمراء دائماً ما نجد أنفسنا أمام مقولة: «فتش عن اليورانيوم»، فأفريقيا تعد من أكبر منتجي اليورانيوم في العالم، وتسهم بحصة ٢٠ في المائة تقريباً من الإنتاج العالمي، يعضد ذلك تواتر أنباء مؤخراً عن تراجع المخزونات الإيرانية من اليورانيوم؛ خاصة أن تاريخ مخزون اليورانيوم الإيراني يعود إلى ٣٠ عاماً ماضية؛ عندما اشترت إيران ٥٣١ طنّاً من يورانيوم «الكعكة الصفراء» من جنوب أفريقيا، في مطلع ثمانينات القرن الماضي.

ويعتقد بعض المحللين أن طهران في سعيها وراء اليورانيوم داخل أفريقيا انتهجت سبلاً متنوعة، منها: سياسة النفط مقابل اليورانيوم؛ كما هو الحال مع زيمبابوي التي يرون أن مجمل علاقاتها بإيران تدور حول اليورانيوم؛ حيث تتمتع باحتياطات يورانيوم ضخمة لم تستغل بعد، في وقت تعاني فيه من مشكلات اقتصادية عصيبة، وبحاجة ماسة إلى النفط للإبقاء على حركة عجلة اقتصادها المتداعي، علاوة على كونها مدينة لطهران بعشرات الملايين من الدولارات.

ويشتبه البعض في الأمر ذاته بالنسبة إلى جنوب أفريقيا، ففي نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٥ نسبت صحف لجواد فايدي -مسؤول بالمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني- قوله: إن جنوب أفريقيا عرضت إمداد إيران بيورانيوم «الكعكة الصفراء»، بل عرضت المشاركة في عملية التخصيب ذاتها، لكن إيران سارعت بالتراجع، مشيرة إلى أن تصريحات فايدي أسيء نقلها.

ويسجل عام ٢٠٠٧ قيمة صادرات إيرانية لجنوب أفريقيا، قاربت على ٢١ مليار دولار، تصدرتها مبيعات النفط.

وعام ٢٠٠٦ حصلت جنوب أفريقيا على ٤٠ في المائة من احتياجاتها من النفط الخام من إيران.

لكن البعض يعتقد أن المساعي الإيرانية وراء اليورانيوم لها جانب مظلم، تدفع أفريقيا ثمنه غالياً؛ حيث ذكر تقرير صادر عن الأمم المتحدة في ١٨ يوليو / تموز ٢٠٠٦ أنه «ما من شك في أن شحنة ضخمة من اليورانيوم ٢٣٨ المهرب كشفها مسؤولو الجمارك في تنزانيا كان يجري نقلها من مناجم لوبومباشي في الكونغو».

وأشار مسؤولو جمارك من تنزانيا في تصريحات صحافية إلى أن الشحنة كانت متجهة إلى ميناء بندر عباس الإيراني، وتم توقيفها في ٢٢ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٥.

واتهم التقرير إيران بمقايضة السلاح مقابل اليورانيوم مع ميليشيا المحاكم الإسلامية الصومالية، وادعى أن ٧٠٠ مقاتل صومالي قاتلوا إلى جانب حزب الله في لبنان في حربه مع إسرائيل، الأمر الذي نفاه حزب الله والإسلاميون الصوماليون.

يذكر أن مخزونات اليورانيوم التي يمكن استخراجها في الصومال تبلغ قرابة ٦.٦٠٠ طن.

لكن محللين يرون أن الدعم الإيراني المزعوم للمحاكم الإسلامية بالصومال لا يرمي إلى ضمان اليورانيوم فحسب، وإنما -أيضاً- إلى تعميق نفوذها في منطقة القرن الأفريقي الاستراتيجية.

وإلى جانب هيمنتها على مضيق هرمز؛ فإن الهيمنة على منطقة القرن الأفريقي -أيضاً- تمنح إيران نفوذاً كبيراً على اثنين من أهم طرق الشحن في العالم، يتسق هذا التحليل مع تحركات إيران لتعزيز علاقاتها مع إريتريا وإثيوبيا والسودان.

وبالنسبة إلى إثيوبيا؛ فإنه طبقاً لما أعلنه مسؤولون

إيرانيون فإن مستوى التجارة الثنائية بين إيران وإثيوبيا ارتفع من ١٩ مليون دولار عام ٢٠٠٤، إلى ٣٥ مليون دولار عام ٢٠٠٧، ورغم العلاقات الصديقة بين إثيوبيا والولايات المتحدة؛ فإن إيران عمدت في السنوات الأخيرة إلى توسيع نطاق علاقاتها مع إثيوبيا على نحو ملحوظ.

أما السودان؛ الذي وصفه أحمدي نجاد بأنه وطن ثان يعج بـ «الأشقاء الأعزاء الأتقياء الثوريين»؛ فيعد أقرب حلفاء طهران في القارة على الإطلاق، والعلاقة بينهما تحيطها الاتهامات، ففي عام ٢٠٠٦ أخبر آية الله علي خامنئي -المرشد الأعلى للثورة الإسلامية- الرئيس السوداني عمر البشير بأن الجمهورية الإسلامية مستعدة لنقل خبراتها وتقنياتها النووية للسودان،

وبينما أعلن السودان مراراً تأييده للبرنامج النووي الإيراني كانت طهران من أوائل من ندد بقرار التوقيف الصادر بحق البشير من قبل المحكمة الجنائية الدولية.

وبدأ السودان تعزيز علاقاته بإيران منذ نهاية ثمانينات القرن الماضي، وتشارك إيران في تدريب وتمويل وتجهيز المؤسسة العسكرية السودانية -بحسب تقارير تناقلتها وسائل إعلام غربية-، وتعمق التقارب مع وصول عمر البشير إلى السلطة عام ١٩٨٩ في انقلاب يحمل توجهات إسلامية.

ويعتقد محللون أن التحالف الإيراني - السوداني هو تحالف آيديولوجي في المقام الأول؛ رغم اختلاف مذهبي الدولتين، ووصل حجم التجارة الثنائية بين إيران والسودان إلى ٤٣ مليون دولار سنوياً عام ٢٠٠٦، وتشارك إيران في الكثير من المشاريع الإنمائية في السودان، وفي مارس ٢٠٠٨ وقعت الدولتان اتفاقية دفاع مشترك.

ومن بين الأصول الجيوسياسية التي يتمتع بها السودان، وتعد عناصر جذابة أمام طهران: سواحل السودان الطويلة على البحر الأحمر والطرق البحرية المهمة؛ التي تربطها بالخليج العربي، وموقعها الذي يقع قبالة السعودية، وبجوار مصر، وتمتعها بموارد نفطية، وسيطرتها على النيل الأبيض.

واتهم موقع «أفريكا كونفدنشال» في تقرير له في سبتمبر ٢٠٠٨ إيران بإمداد الخرطوم بأسلحة في هجماتها ضد دارفور، في انتهاك لحظر الأسلحة الذي تفرضه عليها الأمم المتحدة، وادعى أنه في ٢٨ أغسطس / آب أسقطت القيادة الموحدة لحركة تحرير السودان طائرة إيرانية من دون طيار طراز «أبابيل - ١١١».

كما جمدت الحكومة السودانية صدور صحيفة موالية للمعارضة (رأي الشعب)؛ لأجل غير مسمى؛ لادعائها إقامة الحرس الثوري الإيراني مصنعاً لإنتاج الأسلحة في الخرطوم، يعرف باسم مصنع «جياد»، تنفيذاً لبند في اتفاقية الدفاع التي وقعها وزير الدفاع الإيراني مصطفى محمد نجار، خلال زيارته الخرطوم في مارس ٢٠٠٨؛ لتقديم أسلحة للمتمردين الإسلاميين في الصومال وحركة حماس.

لماذا إلى قم؟

سعد محيو، «الخليج الإماراتية»، ٢٠١٠/١٠/٢١

هل كانت زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد للبنان جهداً منه لدعم حزب الله اللبناني، ومعه «جبهة مقاومة الشعوب»؟ أم كانت في العمق زيارة لتعزيز مواقعه هو في إيران؟

السؤال يبدو مبرراً، فبعد أيام من زيارة أحمدي نجاد «التاريخية» إلى لبنان قام آية الله خامنئي -مرشد الثورة- هو الآخر بزيارة «تاريخية»، ولكن هذه المرة إلى قم.

دوافع هذه الزيارة النادرة؛ إذ هي الثالثة منذ اعتلاء خامنئي كرسي ولاية الفقيه، بعد رحيل الخميني العام ١٩٨٩؛ ليست واضحة تماماً؛ كالسياسات الإيرانية التي لا يعرف أحد ما أهدافها؛ إلا بعد أن تحدث.

بيد أن ثمة ترجيحاً قويّاً بأن يكون مبررها الرئيس هو: تنامي الانقسامات بين كبار آيات الله -الذين يقلّدهم ملايين المواطنين الإيرانيين- حول أمرين اثنين:

الأول: الانتخابات الرئاسية الإيرانية الأخيرة؛ التي قسمت إيران إيرانين، وأثارت الشكوك ولاتزال، حول شرعية أحمدي نجاد، وموقع خامنئي كمرجع أعلى «من واجب الجميع إبداء الطاعة لتعليماته» (وفق فتوى أخيرة لخامنئي نفسه).

والثاني: وربما هو الأهم الجهود الكثيفة التي يبذلها خامنئي، ومن ورائه الحرس الثوري لإنهاء الاستقلالية التاريخية لسلك رجال الدين الإيرانيين؛ عبر جعلهم معتمدين ماليّاً، وراضخين سياسيّاً للسلطة المركزية في طهران.

الانقسام الأول لا تزال أصداؤه منذ عامين تتردد في قم، بعد أن انحاز إلى صف المعارضة الخضراء العديد من كبار رجال الدين، مثل: آية العظمى علي محمد داستغيب، وأسد الله بايات زانجاني، علاوة على آية الله الراحل حسين علي منتظري؛ الذين وجدوا أنفسهم في قمرة القيادة الروحية للثورة الخضراء، وهم يواصلون إصدار البيانات التي تشكك في شرعية رئاسة نجاد، وتنتقد قدرات المرشد الأعلى الفقهية.

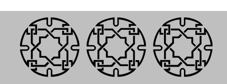
الانقسام الثاني سببه الجهود الضخمة التي يبذلها خامنئي لجعل المدارس الدينية في قم معتمدة على الحكومة، هذا في حين أن هذه المدارس كانت تاريخيّاً مستقلة عن الدولة، وتتموّل من مساهمات المواطنين التابعين لأحد المراجع الدينية.

بيد أن هذه الجهود ارتطمت بمقاومة قوية، وأدّت إلى قسمة أخرى في إيران داخل المؤسسة الدينية القوية في قم، لامثيل له منذ انتصار الثورة الإسلامية العام ١٩٧٩.

زيارة خامنئي إلى قم هدفها الرئيس: العمل على رأب هذا الصدع الذي لاتستطيع طهران أن تتحمله؛ خاصة وهي تخوض حرباً باردة حامية الوطيس مع الغرب، ولذا سيحاول مرشد الثورة إقناع «المتمردين» بإبداء الطاعة لولي الفقيه طوعاً؛ وإلا فإن الحرس الثوري الذي بات مهيمناً على كل شاردة وواردة في إيران (بما في ذلك -وعلى نحو متزايد- الاقتصاد) سيكون جاهزاً لاستخدام العصا لمن عصا!

نعود إلى سؤالنا الأولي: هل كان الاستقبال الجماهيري الحاشد الذي قابل به حزب الله أحمدي نجاد رسالة بأنه يدعم جناح خامنئي نجاد في الصراعات الراهنة في إيران؟

الحزب قد ينفي، قائلاً أنه كان يستقبل رئيس إيران لا قائد أحد الأجنحة فيها، لكن نصف قم وكل المعارضة الخضراء سيكون لهم رأي آخر.. رأي عاتب على الأرجح!



واشنطن تدفع أولاً

زهير قصيباتي، «الحياة»، ٢٠١٠/١٠/٢١م

أيّاً تكن قسوة حملة «القائمة العراقية» التي يتزعمها أياد علاوي على رئيس الوزراء المنتهية ولايته نوري المالكي؛ تبقى أخف وطأة من محاولة تصفية جسدية كتلك التي نجا منها ممثل الأمم المتحدة إد ميلكارت، قبله نجا علاوي من محاولات مماثلة أُدرِجت ضمن «تآمر خارجي» لضرب جهود إعادة العراق إلى المنظومة العربية، ولعل زعيم «القائمة» ما زال يعتقد بأن إصرار المالكي على «احتكار» رئاسة الوزراء ليس سوى تشبث بتصفية سياسية لعلاوي، يريدها بعض الخارج أداةً ليكتمل إطباق النفوذ الإيراني على دوائر القرار في بغداد.

من القاهرة يطلق المالكي إشارات الى تفاؤله بالاقتراب من نهاية نفق أزمة تشكيل الحكومة العراقية؛ بعد سبعة شهور من المماحكات، ومفاجأة انقلاب المشهد حين بدا علاوي على عتبة تكليفه تشكيل الوزارة؛ بعد انتخابات نزيهة، وأسابيع طويلة -أيضاً- من السجالات.

في تركيا سيجدد زعيم ائتلاف «دولة القانون» تفاؤلاً، ربما تُظهر الأيام المقبلة أنه ليس سوى تمنيات تصطدم بصراع أدوار، ما زال العراق ساحته... لم يعد أميركيّاً - إيرانيّاً فحسب، بل يتقاطع كذلك مع تطلع عواصم مؤثرة في المنطقة إلى عدم السماح لطهران بالاستئثار بملء «الفراغ» في بلاد الرافدين؛ بعد الانسحاب الأميركي.

والحال أن العرب تجاوزوا مرحلة رفض النفوذ الإيراني الطاغي في العراق، إلى محاولة إرساء توازن صعب، واضح أنه لن يحققه المالكي الذي تعتبره طهران «الخيار الأفضل»، وهما بالتحديد الكلمتان اللتان تميّزان بين «رؤية» الجمهورية الإسلامية في إيران، المتهمة بفرض وصاية على القرار السياسي العراقي منذ ما قبل إعلان الرئيس محمود أحمدي نجاد «الانتصار» من بغداد، وبين ديبلوماسية العواصم الأخرى المعنية في الجوار؛ والتي تتطابق مفردات لغتها، فتبتعد خصوصاً عما يمس أعراف التعامل بين الدول المستقلة.

فالقاهرة كالرياض وأنقرة، وحتى دمشق، تنصح بعدم إقصاء أي قوة في العراق وبشراكة في حكومة لا تستثني أحداً، أما اختيار من يرأس هذه الحكومة؛ فشأن ينبغي على أي طرف في الخارج، ألا يرمي منه حجراً في كفة أي شخصية.

وحدها إيران تنفرد باختيار «الأفضل»، من منصة مَن أعلن «الانتصار»، وخلَّصه الأميركيون مما كان يعتبره «شرور صدام»، فإذا بالمرشد علي خامنئي يتمنى للعراقيين اليوم «الخلاص من شر أميركا».

وإذا كانت كل خطوة إيرانية «خيراً» وكل فعلة أميركية «شراً»؛ جاز إذاً طرح علامات الدهشة حول تفاهمات «صامتة» بين طهران وواشنطن... بل حول التقاء الأدوار والمصالح المتخاصمة على الساحة العراقية، وكيف يرد خامنئي على كل لفتة غزل أميركية، بمزيد من الوعيد لـ «الأعداء»!

واضح أن معركة تشكيل الحكومة العراقية لا يمكن عزلها عن صراع الإرادات الأميركية والإيرانية والتركية والعربية، وأن تداعياتها إذا انتهت الى تمديد النفق لن تترك الفراغ إلا لمزيد من جولات القتل... وما دامت سماء المنطقة ملبدة بأجواء مذهبية؛ يمكن برميل البارود في بلاد الرافدين أن يطلق شراراته في كل

الاتجاهات!

هو بالتحديد مصدر قلق القاهرة والرياض الذي يدفعهما الى النصح بحكومة شراكة واسعة في بغداد، لعلها تقي العراق والمنطقة من الفتنة المذهبية.

ولكن ما دامت «القائمة العراقية» لم تبدل موقفها من بقاء المالكي على رأس الحكومة، ولم «يتنازل» هو عن طموحاته؛ كما توحي جولته الإقليمية، ولن تتراجع طهران عن التشبث به، ولن يتردد علاوي في إطلاق النار على كل الأدوار الإيرانية -على امتداد المنطقة-، وجعلها مرادفاً لدعم الإرهاب... أي مخرج إذاً؟ أليس ذلك معضلة أمام تنفيذ «التفاهم» الأميركي - الإيراني الصامت؟!

ما يثير القلق أن دفع مسيرة تنفيذ أي تفاهم بين واشنطن وطهران سيستتبع ثمناً باهظاً على الأرجح، في مقابل تسهيل انسحاب «آمن» للقوات الأميركية من العراق.

وما يثير القلق أكثر أن واشنطن باشرت الدفع مقدماً؛ بالاعتراف بالدور الإيراني في أي تسوية أفغانية، وبتشجيع طهران على دور الجار الصالح للعراق، مع قبول وصايتها عملياً في بلاد ما بين النهرين.

وأما إيران؛ فلا يمكنها أن تقبض كما تشتهي إن لم تُذلَّل عقدة علاوي وقائمته؛ التي تتهم المالكي ببيع البلد، وتوزيع «الضمانات» المجانية.

جبهة أي شعوب... يا نجاد؟!

راجح الخوري، «النهار اللبنانية»، ٢٠١٠/١٠/١٦

والآن بعدما طار الرئيس محمود أحمدي نجاد عائداً إلى بلاده؛ تعالوا نهبط قليلاً إلى أرض الواقع؛ لننظر تحديداً في المسألة التي تشكل درة «الأحلام الامبراطورية» في طهران.

فأمام حشد جماهيري حماسي لم يكن غريباً أن يستعيد نجاد شعاراته الفخمة؛ والمبالغ فيها طبعاً؛ التي تطرب المستمعين في إيران، ولكنها تثير التساؤلات والاستغراب في أمكنة كثيرة من العالم، عندما تقوم إيران في دور من يريد أن يشارك في إدارة العالم ويطمح -أيضاً- إلى حكم هذا العالم.

ولكن كيف؟ ومن أي منطلق؟ وعلى أي اساس؟

لقد تحدث نجاد في بيروت عن قيام ما يسمى: «جبهة مقاومة الشعوب» في المنطقة، مفترضاً ضمناً أن قيام هذه الجبهة هو البوابة الإيرانية إلى الدور الأمبراطوري.

والجبهة -على ما أوضح- تمتد من فلسطين إلى إيران، مروراً بلبنان وسوريا والعراق وتركيا، وهو ما يشكل -في رأيه- منطلقاً لالتحاق شعوب المنطقة بهذا الركب.

وإذا كان هناك في واقع الشعوب وطموحاتها وخيباتها وآمالها في هذه المنطقة؛ ما يساعد نجاد وغيره على التبشير بقيام الجبهة التي أشار إليها، فإن في واقع الأنظمة من المحاذير والعراقيل والسياسات والارتباطات والطموحات ما يحول عملياً دون قيامها، أو بالأحرى ما يستدعي قرناً كاملاً من الحروب والصراعات والفتن والاقتتال بين أبناء الوطن الواحد من أجل قيامها!

وعندما يتحدث نجاد عن قيام «جبهة مقاومة الشعوب» في المنطقة؛ هل تساءل قليلاً: ما هو رأي الأنظمة -مثلاً في فلسطين؛ التي ليست كلها «حماس»، وفي لبنان؛ الذي ليس كله «حزب الله»- في مواجهة أميركا والغرب، وإن كان كله معه في الصراع ضد العدو

الإسرائيلي؟

وهل تساءل: ما رأي سوريا نظاماً وشعباً، ودمشق؛ رغم تحالفها الاستراتيجي مع طهران، ترى ومن حقها أن ترى أن من المفترض أن تكون قاطرة في مثل هذا المشروع؛ لا مقطورة وراء إيران.

ثم إذا كان نجاد قد قال من بنت جبيل وبمنطق حتمي أن اسرائيل إلى زوال، فإن سوريا تدعو إلى السلام العادل والشامل مع إسرائيل، وتريد من تركيا أن تستأنف دورها في رعاية المفاوضات غير المباشرة مع الإسرائيليين!

وإذا وصلنا الى العراق العاجز عن تشكيل حكومة جديدة؛ لاسباب تتصل باصرار إيران على اسقاط نتائج الانتخابات، والتمسك بنوري المالكي رئيساً للحكومة، العراق الذي تحول مستنقعا للدم والمآسي، هل يمكن الحديث فيه عن «جبهة مقاومة الشعوب»؛ إذا كان الشعب العراقي يراوح على أبواب فتنة مذهبية؟!

ومن قال: ان تركيا التي عينها في الجنوب والشرق الأوسط، بينما قلبها في الغرب والاتحاد الأوروبي، تريد أن تقبل بمنطق نجاد، أو أنها في كل الأحوال ترضى بأن تقف في الصف وراء «القيادة الامبراطورية» في طهران.

وحتى في داخل إيران عينها؛ هل يمكن الحديث فعلاً عن وجود وحدة شعبية تنتظم في «جبهة مقاومة الشعوب»، وقد بدا أن قسماً كبيراً من «الايرانيين الخضر» ينخرط في مقاومة النظام الايراني؟

«**جبهة مقاومة الشعوب**» تصلح عنواناً لحلم جميل دغدغ الكثيرين قبل نجاد؛ من لينين إلى ماركس إلى ماو، ثم إلى كتلة عدم الانحياز، وكذلك معظم المنظمات الإقليمية للدول، لكن العناوين تبقى مجرد عناوين، والأحلام تنتهي مع بزوغ الفجر -كما يقال-.

ويكفي أن نتساءل: ما رأي الأنظمة في طول هذه المنطقة وعرضها بـ «جبهة مقاومة الشعوب»؛ لكي ندرك أن هذا المشروع يضعنا أمام قرن من الحروب بين الأنظمة والشعوب، وبين الشعوب عينها؛ ولاسباب كثيرة أخطرها: الطائفيات والمذهبيات المتأججة؟!

هل يتقدم لبناني لإعلان نفسه مرجعاً شيعياً ضد رغبة إيران؟

محمد عبد الهادي، «الأهرام العربي»، ٢٠١٠/١٠/٢٣

يسعي بعض رجال دين مسلمين شيعة في لبنان إلى إعلان نفسه مرجعاً شيعيّاً؛ لتعويض غياب المرجع السيد محمد حسين فضل الله؛ الذي مثلت وفاته في يونيو الماضي خسارة كبيرة للبنان، لما جسده من قيم التسامح بوصفه كان من كبار دعاة الانفتاح والحوار بين أتباع المذاهب والأديان، وأيضاً لأنه كان اللبناني الوحيد الذي كان في مرتبة المرجع الديني.

ومن ثم يحرص رجال دين شيعة على ألا يبقي لبنان بدون رجل دين في هذه المرتبة، وهو البلد الذي خرج منه العلماء الذين حولوا إيران نفسها في القرن السابع عشر من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، وسط الخلافات مع الدولة العثمانية السنية، مركز الخلافة الإسلامية آنذاك.

ومن المعروف أن المرجع الديني للتقليد لدي المسلمين الشيعة لا يعين من قبل أي جهة، وإنما اختياره مرجعاً يكون من جانب من يريدون اتباع تقليد فتواه، والعمل بآرائه الفقهية، فالمسألة تخضع للرغبة وليس للسياسة، فلكل مرجع شيعي مريدون ومؤيدون وأتباع،

وله وكيل عام يتولي الإشراف على أنشطته ومؤسساته، وتحت الوكيل وكلاء في المناطق والبلدان التي يوجد فيها أتباع، قرروا اتخاذه مرجعاً يتبعونه في فتاويه وآرائه الفقهية.

وقد كان للسيد فضل الله أتباع ومريدون، في كل من لبنان والبحرين والعراق، ودول عربية بها مسلمون شيعة.. وهناك شخصيات في لبنان يرشحها علماء وشيوخ لكي تكون مرجعاً دينيّاً شيعيّاً للتقليد؛ بسبب مكانتهم العملية والدينية..

لكن هل تسمح الظروف السياسية بإقدام أي منهم على إعلان نفسه مرجعاً؛ بعد ما كان إعلان فضل الله نفسه مرجعاً عام١٩٩٥ أثار حفيظة البعض، وعرضه لانتقادات؟!!

شيعة لبنان والمراجع الإيرانية:

برغم أن السيد فضل الله -بما له من مكانة علمية وفقهية- قد وفر غطاءً شرعيّاً إضافيّاً للمقاومة ضد الكيان الصهيوني؛ فإن إعلانه مرجعاً دينيّاً شيعيّاً أثار عدم ارتياح بعض المرجعيات الإيرانية؛ بسبب عدم رغبتها بوجود مرجعيات دينية، للشيعة خارج قم بإيران والنجف بالعراق؛ حتى لا يخرج أبناء المذهب الشيعي في المنطقة العربية عن سيطرة هذه المرجعيات، وحتى لا يشجع ذلك فقهاء وعلماء دين آخرين في المنطقة على اتخاذ فضل الله نموذجاً ومثلاً، ويخرج أبناء المذهب في المنطقة عن نطاق السيطرة.

وقد تجلي عدم الارتياح هذا في إصدار المرجع الإيراني الإمام التبريزي فتوى عام٢٠٠٠ يحذر فيها الشيعة عموماً، واللبنانيين والعرب خصوصاً من اتخاذ فضل الله مرجعاً، ويصفه فيها بأوصاف لا تليق بمكانته وعلمه، وتجلي ذلك -أيضاً- في قيام وكلاء للمرجع الشيعي العراقي آية الله السيد علي السيستاني بأنشطة في لبنان؛ دون توجيه دعوة أو اتصال مع السيد فضل الله، كما كان للسيد الراحل عبد العزيز الحكيم -رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق- خلاف فقهي وسياسي مع السيد فضل الله؛ برغم القرابة العائلية التي تجمعهما؛ بسبب علاقة الحكيم بإيران.

وعلى صعيد لبنان نفسه؛ فإن كثيرين من أبناء المذهب الشيعي لم يتخذوا فضل الله مرجعاً، حتى إن معظم البيانات التي صدرت لنعي الفقيد وصفته بـ (العلامة المجتهد)، ولم يرد فيها وصفه بـ (المرجع)؛ برغم أنها أعطته حقه بوصفه إمام المقاومين والمجاهدين، وهو الأمر الذي لا ينكره الإيرانيون، ويتخذ لبنانيون مراجع دينية إيرانية وعراقية للتقليد، فوكلاء السيستاني في لبنان يعادلون -وربما أكثر- من وكلاء فضل الله.

ويعود عدم رضا البعض عن فضل الله إلى رفضه مسألة ولاية الفقيه، ففيما ترى المرجعيات الإيرانية أن ولاية الفقيه عامة في جميع جوانب الحياة، وشاملة لكل أتباع المذهب أينما كانوا، كان السيد فضل الله يرى أن ولاية الفقيه جزئية في الأمور الدينية، ومحددة في زمانها، ومكانها حدود الولاية، أي: احترام سيادة الدول وخصوصية المجتمعات، فاختلف بذلك مع المرجعيات التي تؤمن بولاية الفقيه العامة، والشاملة على حجم الولاية ونطاقها، كما كان السيد فضل الله من جانب آخر حريصاً على زيارة السعودية، وفتح حوار مع رجال الدين السنة في السعودية ومصر.

ومن ثم شكل غياب السيد فضل الله بمعنى من المعاني راحة فكرية لتيارات سياسية في لبنان.. وراحة

سياسة لإيران ومرجعياتها الدينية؛ حيث أنهت وفاته معاناة البعض في لبنان من ازدواجية على المستوي الفكري، وصراعا داخليّاً نفسيّاً ما بين الرغبة في تقليد فضل الله، واتخاذه مرجعاً وطنيّاً وعربيّاً، وبين الخشية من إغضاب البعض في إيران؛ بسبب عدم الاعتراف به من قبل مرجعياتها -كمرجع تقليد-.

وفي كل الأحوال؛ فقد شكلت وفاته بالنسبة للبنانيين عامة خسارة إنسانية ومعنوية وسياسية، لما كان يمثله من دعم للمقاومة؛ حيث كان فضل الله يحظي باحترام الجميع مسلمين ومسيحيين.

على ضوء ذلك؛ فإن إقدام رجال دين شيعة على إعلانهم مرجعيات دينية لتعويض غياب فضل الله يواجه تحديات سياسية أكثر منها فقهية، والمسألة تأخذ وقتها في التفكير إلى ما بعد مرور فترة على غياب المرجع الراحل، وقد تمر المسألة بدون اعتراضات في حالة تجاوز المرجع الجديد الخلافات حول ولاية الفقيه.

فالعلاقات بين إيران وحزب الله، وقبول الأخير بـ (ولاية الفقيه) تشكل كذلك حساسية؛ باعتبار أن الحزب يحظى بدعم وأنصار قطاع كبير من أبناء الطائفة الشيعية في لبنان، كما يشكل الدعم الإيراني للحزب والمقاومة من ناحية، واعتبار إيران ظهيراً إقليميّاً في المحيط السني، وفي البيئة الرافضة للمقاومة وسلاحها حساسية؛ خصوصاً -أيضاً- لدي الجمهور الشيعي؛ لعدم إثارة غضب إيران.

ومن المستبعد أن يقدم أحد على اتخاذ خطوة في هذا الاتجاه في هذه الآونة؛ لا سيما في ضوء الخلافات السياسية الداخلية حول المحكمة الدولية، وأجواء إثارة فتنة شيعية سنية، قد تكون الطائفة الشيعة -في هذه الأجواء- تحتاج فيها إلى هذا الظهير الإقليمي.

ومن ثم ربما شكلت زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد لبيروت، الأسبوع الماضي عائقاً وكابحاً لأي تفكير على المدى القريب، في ضوء ما تعنيه الزيارة من دعم ليس للمقاومة والحزب والطائفة فقط؛ وإنما للبنان، وفي ضوء ما لاقاه من استقبال وترحيب غير مسبوقين أو متوقعين.

خلافة قبلان:

لقد فتح غياب السيد فضل الله الباب -أيضاً- أمام طرح مسألة خلافة الشيخ عبد الأمير قبلان -نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى-؛ للنقاش في الأوساط اللبنانية في حالة غيابه -أمد الله في عمره-، واحتمال حدوث خلافات داخلية حول خلافته..

وترجع جذور المسألة إلى أنه بعد اختفاء الإمام موسى الصدر عام١٩٧٨، رؤي عدم انتخاب رئيس للمجلس، وتسمية من يتم انتخابه نائب رئيس، ثم طرحت أفكار بانتخاب مرشح مدعوم من حركة أمل رئيساً، ومرشح مدعوم من حزب الله نائباً لرئيس باعتبار الإمام الغائب موسى الصدر رئيساً مدى الحياة.

وتقول المصادر: إن الرئيس بري رفض هذه الأفكار؛ حتى لا يصبح نائب الرئيس المدعوم من حزب الله تلقائيّاً -في حالة غياب الرئيس- رئيساً للمجلس، ومن ثم انتخب السيد عبد الأمير قبلان عام٢٠٠١ نائباً للرئيس، مع استمرار منصب الرئيس خالياً حتى الآن.

وتضيف المصادر: أنه في حالة غياب قبلان -المقرب من الرئيس بري-؛ فمن المنتظر أن يطرح كل من حزب الله وحركة أمل مرشحاً لمنصب نائب الرئيس، وربما قد يعاد طرح فكرة انتخاب رئيس مدعوم من

الحركة، ونائب رئيس مدعوم من الحزب.

لكن المصادر ترجع توصل الطرفين في النهاية إلى تسوية؛ كون المنافسة هي على نفس الأرض والجمهور، والرغبة مشتركة في تأكيد التحالف وتجنب الانقسام، ومن المعروف أن انتخاب رئيس المجلس أو نائبه للرئيس يتم من جانب هيئة عامة، تضم هيئتين: الأولى هي: الهيئة الشرعية، وتضم رجال الدين، والثانية: هيئة تنفيذية، تضم الوزراء والنواب وشخصيات عامة.

التوسع في تصدير «الثورة» الإيرانية!

بصيرة الداود، «الحياة»

عندما شغل علي أكبر ولايتي منصب وزير الخارجية في إيران قال عبارته الشهيرة والصريحة: «إن ساحلنا الجنوبي والخليج ومضيق هرمز وعجمان؛ هي حدودنا الاستراتيجية الأكثر أهمية، وإن هذه المنطقة حيوية بالنسبة إلينا، ولا يمكن أن نكون لا مبالين حيالها».

ذكرت مراراً أن قوة إيران في سياستها الخارجية وليست الداخلية، كون الجغرافيا السياسية لإيران هي التي تنعكس آثارها على صنع قراراتها الخارجية، ولكن ماذا لو بحثنا في تأثير التاريخ على صانع القرار السياسي في إيران؟!

من المعروف أن التاريخ العربي والفارسي تداخلت حلقاته عبر التاريخ، قبل وبعد ظهور الإسلام، وهذا التداخل أثر إيجاباً وسلباً على العلاقات العربية - الفارسية، في حين نشأ نوع من التفاعل والتبادل الحضاري بين العرب والفرس في منطقة الخليج العربي عبر التاريخ، فأثرت العلاقات بينهم وتبلورت إلى حد التقارب بين بعضهم بعضاً في العادات والتقاليد والاختلاط من طريق المصاهرة الاجتماعية منذ العصر العباسي الأول؛ إلا أن تلك العلاقات أثرت سلباً زمن الدولة العثمانية؛ خصوصاً عندما حكمت العراق الدولة الصفوية التي أبقت الصراع بين العثمانيين والفرس ما يزيد على قرنين من عمر التاريخ الحديث، ولأسباب سياسية ودينية «مذهبية»، يأتي في مقدمها: تشكيل الدولتين العثمانية والصفوية الفارسية كقوتين إقليميتين في تلك المرحلة من القرن السادس عشر الميلادي، ولكل منهما مشروع سياسي وعقائدي مذهبي؛ بحيث كان الصفويون يحاولون مد نفوذهم إلى بعض المناطق العراقية كلما سنحت لهم الفرصة؛ بعد هزيمتهم أمام العثمانيين، أو يضعون أيديهم على البحرين؛ فيبادر العثمانيون إلى شن هجوم مضاد يدخلون من خلاله إلى عمق المدن الإيرانية.

ومنذ عهد شاه إيران السابق كان للتاريخ أثره الفاعل في صنع القرار بالنسبة الى السياسة الخارجية في إيران، فعلى رغم ثبات سياستها في عهده؛ خصوصاً في ما يتعلق بتأكيده على أحقية إيران في البحرين، ومعارضته عام ١٩٥٨ اتفاقية الحدود بين السعودية والبحرين، والتهديد بانسحاب إيران من أية منظمة دولية تضم البحرين؛ إلا أن سياسة شاه إيران الخارجية الثابتة بدأت تتغير بعد ذلك؛ خصوصاً بعد اتفاقية بريطانيا مع إيران، وتدخلها في مسألة البحرين؛ والتي سمحت من خلالها بأن تتاح للشعب البحريني حرية الاستفتاء على تقرير مصيره؛ والذي انتهت نتائجه لمصلحة تأييد البحرينيين للاستقلال، ووقّعت إيران على إثر ذلك اتفاقات مع كل من قطر والكويت، عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠، وأجبر بعدها الشاه محمد رضا بهلوي على الاعتراف بالبحرين كدولة مستقلة، في الوقت نفسه الذي صرح فيه آية الله صادق روحاني برفضه لهذا الاعتراف، واعتزامه قيادة حركة «ثورية» من أجل استعادة الأرض المسلوبة التي تخلّى عنها الشاه بكل بساطة بحسب زعمه.

وعلى رغم معارضة بعض الملالي في إيران منذ تلك الفترة لتصريحات روحاني، ومساندة البعض الآخر لها؛ إلا أن ذلك كشف ومنذ تلك الفترة التاريخية عن نيات الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول علاقاتها السياسية مع دول الجوار؛ وخصوصاً البحرين، والإمارات العربية المتحدة.

وبعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣ سنحت الفرصة التاريخية

مرة أخرى للتوسّع الإيراني في المنطقة؛ عبر بوابتها الشرقية، فبعد تثبيت سياستها في العراق تحاول جاهدة الحصول على دعم إقليمي ودولي؛ لتعزيز طموحاتها التوسّعية في عالمنا العربي والإسلامي، فنجحت في عقد اتفاقات مع سورية والولايات المتحدة الأميركية في ما يتعلق بتدخلها لإدارة شؤون العراق؛ عبر الموالين والخاضعين لأوامرها السياسية؛ ممن حكموا العراق ولا يزالون تحت مظلة الاحتلال الأميركي - البريطاني، ودعم نفوذ السياسة الخارجية في إيران، كما تحاول سياسة إيران الخارجية التدخل في شؤون لبنان بعد نجاح سياستها في العراق؛ وذلك من خلال دور «حزب الله» الموالي لطهران وأحد أهم وأقوى أجنحة سياستها الخارجية والعسكرية في المنطقة؛ والذي لا يرغب في أن يرى لبنان مستقرّاً إلا إذا أعطي له حق الكلمة الفصل في إدارة شؤونه؛ خصوصاً بعد انتهاء الحرب اللبنانية مع إسرائيل عام ٢٠٠٦.

إن إيران اليوم قد أعدت مسرحها السياسي والعقائدي والمذهبي والإعلامي من أجل أن تعزز طموحها التوسّعي، وتكون اللاعب الرئيس والمحرك لشؤون المنطقة، وهذا ما يشكّل خطورة على الوضع الخليجي والإقليمي والعربي برمته، كون إيران لا تنطلق فقط من منطلقات سياسية بحتة، وإنما من منطلقات تاريخية عقائدية دينية ومذهبية، الأمر الذي بدأ يؤثر سلباً في بعض العلاقات السياسية بين إيران وبعض الدول المجاورة لها خليجيّاً، وعلى العلاقات الإيرانية مع الدول العربية من جهة أخرى.

وعلى رغم نجاح سياسة إيران الخارجية التوسّعية، لكنها لا تزال على مستوى السياسة الداخلية لمجتمعها قاصرة عن تحقيق وتلبية متطلبات الشعب الإيراني، فهي تحرم الأقليات القومية من تحقيق مطالبها في الحصول على قدر من الحرية في إدارة شؤونها الذاتية، الأمر الذي لا يزال يجعل من هذه القضية داخل إيران وقوداً جاهزاً للاستعمال عند اندلاع الصراع السياسي بين التيارات المختلفة فيها.

عند القراءة التاريخية التحليلية والنقدية لدستور إيران كجمهورية «إسلامية» نلحظ فيه على الفور أهم بنوده الذي يحرم من خلاله المسلمين السنّة من أكراد وتركمان وعرب وغيرهم حقهم المشروع في رئاسة الدولة، واشترط الدستور على من يتولى رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية: «أن يكون من أصل إيراني، ويحمل الجنسية الإيرانية، ويكون مؤمناً ومعتقداً بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد».

وهنا أتوقف لأطرح هذا السؤال التاريخي على طاولة صناع القرار في إيران: كيف تقيم دولة ما شرعيتها على أساس ديني، وتطمح إلى تقديم نموذج «إسلامي» قابل للتصدير والتوسّع في المحيط الخارجي الأوسع منها؛ والذي يخالفها من الناحية الدينية مذهبيّاً، وتعجز في الوقت نفسه عن التوفيق بين هويتها التي يحددها الدستور لرئيس الدولة بأن يكون من أصل إيراني، وبين تحديد هويتها الشيعية المذهب كأحد أهم خصوصياتها التي تميزها كدولة «إسلامية»؟!

إن القضايا الاجتماعية الداخلية لكل دولة تبقى -في رأيي- المحرك الأساسي لقلب الأوضاع وتغييرها نحو الأفضل، فالثورات والانقلابات عبر التاريخ كان ولا يزال للقضايا الاجتماعية الدور الكبير فيها نحو التغيير، وإذا كانت الثورات والانقلابات عبر التاريخ الحديث عسكرية ودموية، فهناك ثورات وانقلابات بيضاء من الأفضل أن يشهدها تاريخنا المعاصر بين فترة وأخرى، وأعني بها: الثورات الإصلاحية؛ التي تخدم المجتمعات العربية، وتبطل مفعول الأطماع التوسّعية.

